Fax :91-522-2741221, 2741231 Regd. No. LW-NP/642012 To 2014 R. N. I. No. (U.P.ARA/2008/2341)
Monthly
AL-BAAS-EL-ISLAMI
Vol: 59 Issue:03 September 2013

إصدارات حديثة:

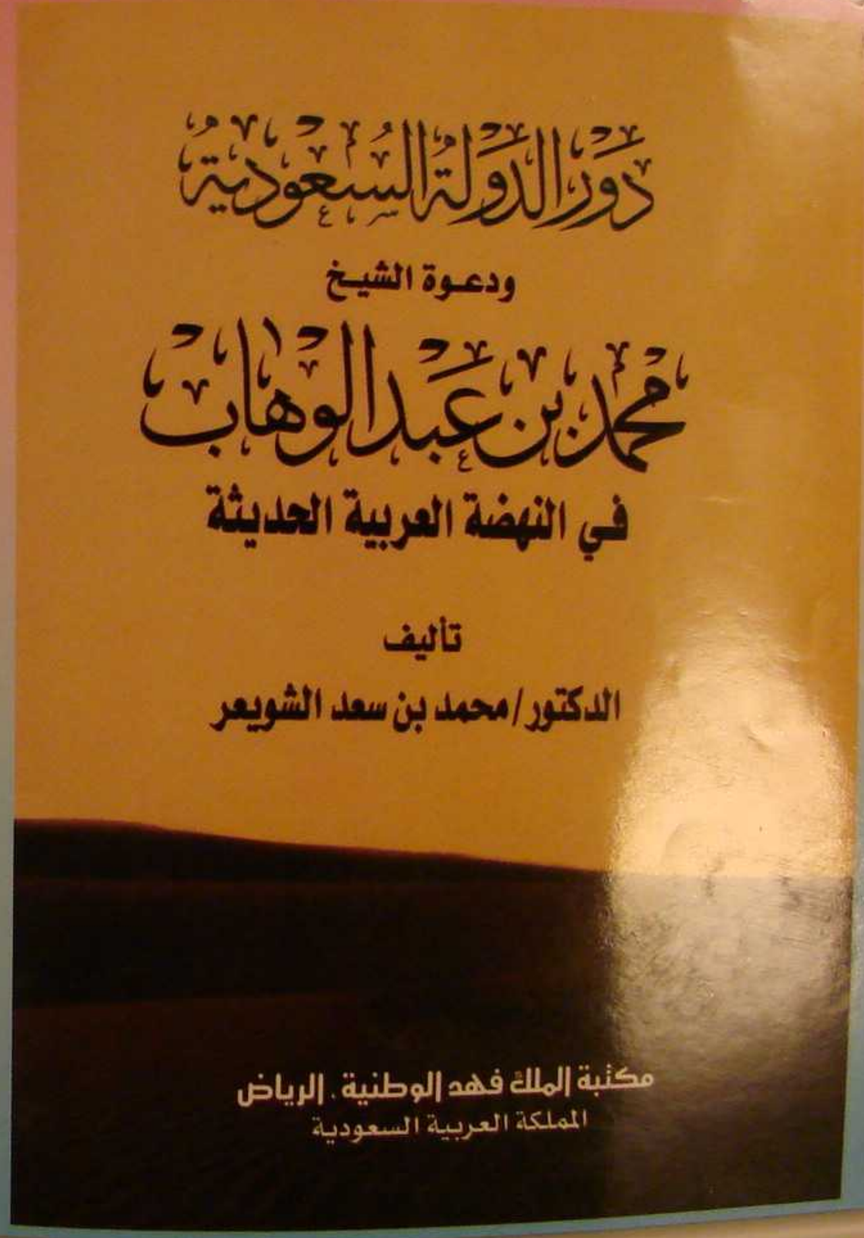

DESIGNED BY: HAMID Mob: 9889654027 Lko

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
(Dept.of Journalism & Publicity) at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor : SAEED-AL-AZAMI-AL-NADWI

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

المجلد ٥٩

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الرابع – المجلد التاسع والخمسون – ذوالحجة ١٤٣٤هـ أكتوبر ٢٠١٣م

- سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
- مكانة المرأة في ضوء القرآن الكريم
- أحداث العالم الإسلامي وموقف الدول الغربية المتناقض
- بين الحضارة الحاضرة والشريعة الغراء
- شرح قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية
- القروض في الإسلام
- أوثق مرجع في لغة العرب هو القرآن
- ألا إن نصر الله قريب!

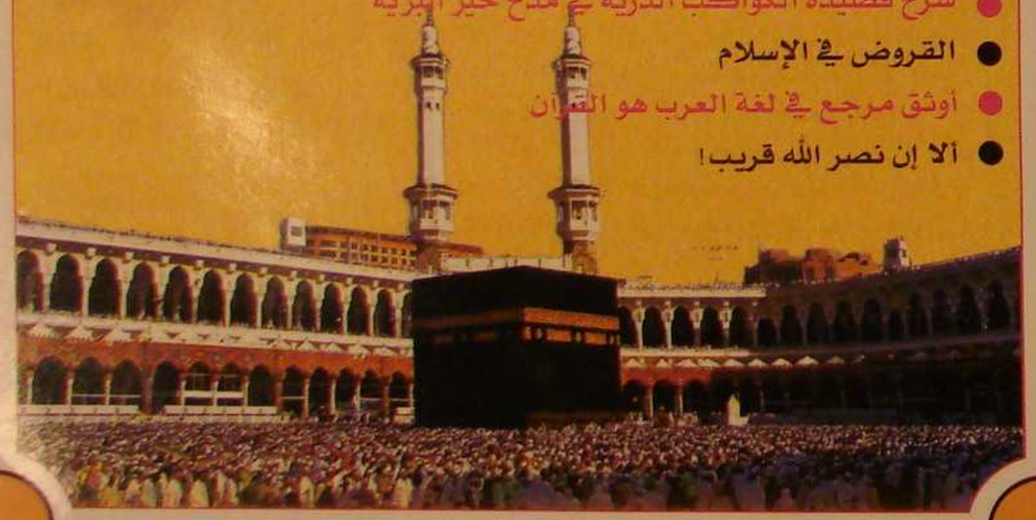

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند
Albaas-el Islami,Majlis Sahafat-wa-Nashriyat,
P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)
Fax : 0091-522-2741221 E-mail: albaas1955@gmail.com, nadwa@sancharnet.in

الاشتراكات السنوية في الهند

ثلاث مائة	٣٠٠/٠٠روبية
ثمن النسخة:	٣٠/٠٠روبية

في العالم العربي

وفي جميع دول العالم:

٥٠ دولاراً بالبريد الجوي

أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

المجلة غير ملتزمة

بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك:

باسم "البعث الإسلامي"

A/C 10863759846

(SBI LKO.MAIN BRANCH)

وذلك بالعنوان التالي:

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT

NADWATUL ULAMA P.O. BOX. 93,

LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)

العبقري العصامي!

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده، وما ينفع عملياً، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة، وفي عصر الثورة على الدين، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين، ومن النتائج الخاطئة، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون.

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية فيأخذ منه ما فاته من التجارب، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع.

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

المجلد ٥٩

العدد الرابع - المجلد التاسع والخمسون - ذوالحجة ١٤٣٤هـ أكتوبر ٢٠١٣م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها:

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ - ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg,

Lucknow. Pin:226007-04 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

Mob: 9889336348 E-mail:nadwa@sancharnet.in

محتويات العدد

العدد الرابع – المجلد التاسع والخمسون – ذوالحجة ١٤٣٤هـ أكتوبر ٢٠١٣م

إلى القارئ الكريم :		
هذا صراطي مستقيما	التحرير	٣
الافتتاحية :		
مكانة المرأة في ضوء القرآن الكريم	سعيد الأعظمي الندوي	٤
التوجيه الإسلامي :		
سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحضارة الحاضرة والشريعة الغراء	سماحة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي	٨
	الإمام الداعية بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة : الدكتور إحسان قاسم الصالحي	١٩
شرح قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية الدكتور غريب جمعة		٢٥
الدعوة الإسلامية :		
الدعوة الإسلامية في الغرب	الدكتور سلمان الظفيري	٣١
مشروع الاتحاد الخليجي	معالي الدكتور راشد عبد الله احمد الفرحان	٣٣
الفقه الإسلامي :		
القروض في الإسلام	الأستاذ اشرف شعبان ابو احمد	٣٦
رجالات التاريخ والأدب :		
"داروين ... ونظريته"	الدكتور محمد بن سعد الشويعر	٤٦
عبد الوهاب بياتي من رواد الشعر العربي الحديث في العراق	الدكتورمحمد مظهر عالم الندوي	٥١
بحوث ودراسات :		
أسماء المدينة المنورة في اللسان العربي	الأستاذ الدكتور محمد علي بلاسي	٥٥
أوثق مرجع في لغة العرب هو القرآن	الدكتور عناية الله أسد سبحاني	٦٦
الدراية أو نقد المتن عند المحدثين	الأستاذ محمد شاهجهان الندوي	٧٧
صور وأوضاع :		
أحداث العالم الإسلامي وموقف الدول الغربية المتناقض	محمد واضح رشيد الحسني الندوي	٨٣
الا إن نصر الله قريب	محمد فرمان الندوي	٨٩
من كنوز القرآن الكريم :		
تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي	محمد فرمان الندوي	٩١
إلى رحمة الله تعالى :		
السيد اشتياق علي العلوي في ذمة الله تعالى	قلم التحرير	٩٨
حرم فضيلة الشيخ عبد العزيز الباتكلي الندوي إلى رحمة الله تعالى	. . .	٩٨
البروفيسور عبد السلام إلى رحمة الله تعالى	. . .	٩٩
الأمير مساعد بن عبد العزيز في ذمة الله تعالى	. . .	٩٩
الشيخ عبد الحميد الرحماني إلى رحمة الله تعالى	. . .	١٠٠

إلى القارئ الكريم !

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا صراطي مستقيما

نحن في زمن تعم فيه توترات نفسية تبعث الناس أفراداً وجماعات على استجابة سريعة للمطالبات والرغبات مهما كانت لها صلة بالواقع أو بغيره ، أو كانت صادرة من تفاعلات مرتجلة ... فليس هناك تنازل عنها في أي حال ولا هناك مجال للتراجع عنها ، ولا طريق للتصالح فيما بين الفريقين ، وقد يكون كل واحد منهما على خطأ ، إلا أن الاعتراف بالخطأ رغم جميع المبررات لا يكاد ينال طريقه نحو ساحة الأمن والسلام ، وتهدئة الأعصاب المتوترة ، ونحو إيجاد جو من التعاطف والتراحم .

ومن ثم وقع مجتمعنا المسلم فريسة أدواء وأمراض ، من الأثرة ، وخدمة المصالح الشخصية ، والتودد إلى أصحاب الحكم والسلطة ، وما جاء ذكره في سورة الحجرات من كتاب الله تعالى ، ونتيجة لذلك استحوذ علينا مركب نقص وتسرب إلى صفوف الناس نوعان من الضعف والنقيصة يتعاون بعضه مع بعض ، وقد يزدوجان في الشعور النفسي ويتحكمان في مواقف قد يحتار القادة والمفكرون في تفسيرها ، فيخلعون لباس الجمال عليها مرة ، ويشنعونها بإضفاء لون الكراهية عليها مرة أخرى .

أولهما : التزمت .

والثاني : التطرف .

وكلما أصيب فرد أو مسئول عن جماعة بواحد منهما أو بكليهما ، حاد عن طريق القصد والاعتدال ، وضل الطريق السويّ الذي يؤدي إلى الغاية المتوخاة ، ولعل ما جاء في كتاب الله عز وجل من التأكيد على الصراط المستقيم وتعيينه ، يشير إلى أن مسار الحياة الإنسانية ليس إلا صراط الله المستقيم .

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .

(والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

١٤٣٤/١٠/١١هـ ٢٠١٣/٠٨/١٩م

سعيد الأعظمي الندوي

الافتتاحية :

بسم الله الرحمن الرحيم

مكانة المرأة في ضوء القرآن الكريم

يتميز القرآن الكريم بالاحتواء الكامل على جميع ما يحتاج إليه الإنسان في الكون والحياة من توجيهات وأحكام وتعاليم واضحة ، تمهد الطريق الواضح البين نحو استخدام العقل في التدبر في الآيات الكونية التي تحمل دلالات واسعة على وجود قوة خارقة ذات قدرة عظيمة على جميع شئون الخلق والأمر ، ﴿**أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ فالقرآن الكريم كتاب الله العظيم الذي يخاطب العقول ، ويدعو إلى التفكير في آيات الله تعالى المنبثة في كل مكان وفي جميع الأكوان من السماوات والأرضين ، وهو كتاب هداية إلى الصراط المستقيم ، وفرقان بين الحق والباطل ، لا يأتيه القدم والبلى أبداً إنما هو جديد طري في كل زمان ومكان ، ورسالته تعم العالم البشري كله من غير نقص أو زيادة في كل عصر ومصر ، فليس هو إلا معجزة سماوية إلهية لا يقف أمامه حيل المحتالين ولا كيد الكائدين ولا يؤثر عليه سحر ولا شعوذة ، خص بهذه المعجزة الخالدة الباقية النامية الشاملة ، رسولنا العظيم محمد ﷺ الذي ختم الله تعالى به النبوة فكان ﷺ معجزة بالذات بين جميع الأنبياء والرسل المبعوثين إلى جماعات وفي مناطق مختلفة ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ومن هنا كانت معجزة القرآن شاملة تشمل كل شأن من شئون الخلق والأمر ، وكانت لها علاقة وطيدة بالعالم البشري الذي نال السعادة الغامرة والعز والكرامة بألوانه وعناصره وأجناسه ، ولا سيما جنس الرجل والمرأة ، وجنس الذكر والأنثى ، فسجل القرآن الكريم مكانتهما وحقوقهما وحدد نطاق أعمالهما ونشاطاتهما في مختلف الأحوال والأوضاع والظروف والوظائف ، فالذكر له وظيفة والأنثى لها وظيفة ، ولكل واحد من الرجل والمرأة تعاليم وتوجيهات ، وتحديد مجال للنشاطات والواجبات ، أما الرجل فقد ظل مركز النشاط والعمل دائماً بغاية من التفصيل والوضوح ، ومن جميع النواحي العملية والمجالات المشهودة من حين الولادة إلى وقت المغادرة من الدنيا إلى الآخرة ، كذلك المرأة لها كل ما للرجل ولكنها تختلف الرجل في المسئوليات ، وفي الالتزام بالحجاب ، والعيش مع الأسرة

والزواج ورعاية نظام التربية ، وأحوال الحمل والولادة وفي الميراث والحقوق ، وكونها نصف الرجل في الشهادات ، وما إلى ذلك من شئون وأحوال ووظائف وأعمال ، فكل ذلك مسجل في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ .

وقد اعتنى القرآن الكريم بجميع ما له علاقة بحياة الرجل والمرأة ، وبيان الأحوال التي ينفصل فيها الرجل عن المرأة ، والأحوال والأعمال التي يستويان فيها ، كما أن أهل العلم والمعرفة والفقه والتشريع تناولوا شرح وبيان ما للرجال والنساء من تشريع ونظام في الشريعة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة ، ولولا أن المرأة كانت تتميز بمسئولياتها ووظائفها بإزاء الرجل ، ولها مكانة غير مكانة الرجل ، ولها أهمية في تنظيم الأسرة ، لما تناولها الله تعالى في كتابه بشيء كبير من الأهمية وبأسلوب من العطف والرحمة ، بالرغم من أن الرجل أكرمه بالقوامية عليها وقال : ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾ ولكنه رفع شأنها بعقد سورة النساء في القرآن الكريم وفيها من المسائل والقضايا التي تختص بالنساء دون الرجال ، وإرشادات للرجال في أمور الدين ، وأحكام الشريعة في التعايش للزوجين ، والنزاهة في ذلك بالنكاح وبتنفيذ قواعد الزوجية وفق التوجيهات الربانية ، وأداء الأمانات إلى أهلها ومراعاة العدل في جميع الشئون المعاشة بين الأزواج ، وذلك ما يؤدي إلى دخول الجنة والنعيم ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً**﴾ .

ولما خطر ببال أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن الرجال لهم ذكر وبيان في القرآن ، والنساء لسن كذلك ، فقالت للنبي ﷺ : ما لنا لا نُذكر في القرآن كما يُذكر فيه الرجال ، فنزلت آية المساواة بين الرجال والنساء في الإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والتصدق والصيام وحفظ العورات ، والذكر بالقلب واللسان ، عشر خصال في سورة الأحزاب ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾ .

فكلما فاقت المرأة الرجل في صالح الأعمال والإخلاص في العبادة والانهماك في الذكر كانت لها مكانة أرفع ومنصب أسمى بإزاء الرجل إذا

كان لم يوفق للوصول إلى الغاية المنشودة ، ولذلك جاء التخيير بأمر من الله سبحانه بين أزواج النبي ﷺ فيما إذا كن قد أردن الحياة الدنيا وزينتها أم أردن الله ورسوله ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۞ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ومن أجل ذلك كان الله ورسوله والدار الآخرة أول ما يحتاج إليه الإنسان في هذه الدنيا يتساوى في ذلك الرجل والمرأة ، فكم من نساء أحرزن مكانة عالية في الدين والدنيا وأصبحن من رموز الإسلام والدين والعمل الصالح ، وبناء صروح المجد والفخار في تاريخ الإسلام ، وقد قام بإحصاء النساء المسلمات ممن اخترن الله ورسوله فسجّلن صفحات رائعة مشرقة جذابة في التاريخ ، قام بذلك عدد من المؤرخين المسلمين وأصحاب العلم والمعرفة ، وألفوا أسفاراً ضخمة عن النساء اللاتي رفعن منائر شامخة من العلوم والمعارف ، في جميع مجالات الحياة من الدين والعلم والتحقيق ، فهؤلاء المحدثات ، والمفسرات والصائمات والداعيات والخطيبات والأديبات والمؤرخات والمؤلفات في شتى أنواع العلم والمعرفة ، والباحثات عن ذخائر التشريع والقانون ، كن غرة نور وإشراق على جبين المجتمع الإسلامي ، ومفخرة التاريخ والعلم والدين ، وكن عنصراً أساسياً في بناء الحضارات الإنسانية والحضارة الإسلامية بوجه أخص .

كما أن هناك عدداً ضخماً من النساء يلعبن دوراً رئيساً في هدم المجتمع الإسلامي ، وإشاعة الفاحشة من جميع النواحي على اختلاف الأجناس والألوان ، الواقع الذي أنتج الفساد على المستويات كلها وفتح أبواب الجرائم والاعتداءات الجنسية على مصاريعها ، فلم يعد للعفة والصلاح وصيانة الأعراض وحرمة الازدواجية بين الجنسين أي قيمة أو شأن ، ولا أرى حاجة إلى بيان هذا الجانب المظلم فقد نال تعارفاً واضحاً بين المجتمعات والأسر الإنسانية بما آل إليه العالم البشري وقام على شفا هوة الهلاك والدمار مما لا يتحقق بحروب مدمرة دائمة مستمرة .

كانت المرأة شقية مهضومة الحقوق ، ومستعدة لأداء ضريبة الخدمة والأعمال الشاقة ، تعامل بما تعامل به البهائم ، لم تكن لها قيمة ولا مكانة ، وجاء الإسلام فرفعها إلى أرفع منزلة للإنسانية ، وقرر لها من القيمة ما لم تكن تحلم بها المرأة قبل ذلك ، واعتبرها مثل القوارير الغالية

والجواهر المضنونة التي تصان وراء أكثر من حجاب ، ولا يمسها إلا بد الجوهري الذي وضعها في الغلاف السميك .

هذا مؤمن آل فرعون يتحدث عن حقيقة الدنيا والآخرة يعبر عنها كتاب الله تعالى بغاية من الإيجاز والإعجاز لكل من الجنسين : ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۞ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (سورة الغافر الآيتان/٣٩ – ٤٠) .

ثم انظروا كيف يوجه الله سبحانه الإنذار الشديد إلى أولئك الذين يرمون المحصنات المؤمنات بتهم من الخروج عن نطاق العفة وصيانة الحياء والحشمة ، وخرق رداء الكرامة والزينة والحجاب ، فلنقرأ ما قد جاء في سورة النور من تحذير ، وتوجيه وأحكام وتعاليم ، في قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ۞ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۞ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۞ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة النور الآيات/٢٣ – ٣١) .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٣٤/١٠/١١هـ ٢٠١٣/٠٨/١٩م

التـــوجيه الإسلامـي :

سيدنا محمد رسول الله ﷺ

بقلم : سماحة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب : محمد فرمان الندوي

خصايص البعثة المحمدية :

بعث الله سيد الأولين والآخرين ، خاتم النبيين سيدنا محمد رسول الله ﷺ في هذا العهد الأخير ليدعو الناس إلى سبيل الهدى ، ويحثهم على العمل بأحكام الله تعالى ، وقد توقفت سلسلة إرسال الأنبياء والرسل التي كانت مستمرة لهداية الناس قبل بعثته ﷺ ، على سيدنا عيسى عليه السلام ، لأن قوم عيسى عليه السلام قد عاملوه معاملة جائرة فتوقفت من شؤمهم نعمة إرسال الأنبياء والمرسلين ، وما زالت متوقفة إلى ستة قرون ، وحرم الناس دعوة الأنبياء الذين كان يأتيهم الوحي الإلهي ، فيبلغونه إلى أقوامهم ، ويرشدونهم إلى الحق والصواب ، من الإساءة إليهم ، ثم كان فضل الله على الناس إذ بعث فيهم سيدنا محمداً ﷺ كآخر الرسل ، متصفاً بجميع خصائص الهداية ، وأتم سلسلة النبوة عليه ، وجعل نبوته في نهاية المطاف ، وقد كان هناك تعديل أو تغيير يسير في تعاليم الأنبياء الذين جاءوا من قبل ، نظراً إلى الظروف والملابسات الخاصة ، فأوقف الله هذا الأمر ، وجاءت الأحكام الدينية في الإسلام جامعة وكاملة ، هذه خصيصة لم يُعْطَ أحد من الأنبياء قبله ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ﴾ (سورة المائدة الآية/٣) .

والخصيصة الثانية العظيمة التي أكرم بها سيدنا محمد رسول الله ﷺ أن السيرة المثالية والخلق النبيل والسلوك الطيب الذي تلقاه ﷺ من الوحي اعتبر نموذجياً ، وصار واجب الاتباع للناس إلى يوم القيامة كمنهج حياة حسن صالح ، بحيث لا يكمن الفلاح والنجاح إلا فيه ، فعلى الناس قاطبة أن يصوغوا حياتهم وفقاً لتعاليمها ، وبما كان قضاء الله تعالى أن تكون حياته أسوة خالدة وباقية للحياة الإنسانية فقد جعل الله تعالى منذ ولادته إلى وفاته في كل مرحلة من مراحل حياته مواقف تظهر منها أمام الناس أسوة الإنسان المثالي ، ويكون ﷺ أكمل وأصلح وأرفع إنسان ، ويكون عمله

نموذجاً في كل مرحلة من مراحل الحياة الإنسانية ، وكان الوحي الإلهي يعلمه ويربيه بعد نبوته باستمرار ، وبما أن لوح قلبه وطبيعته كان صافياً ، ولم يكن عليه أثر القراءة والتعليم فرسم عليه الوحي الإلهي رسماً واضحاً .

التربية الإلهية :

هناك أمثلة في القرآن والحديث ، تبين أن الوحي الإلهي كيف يربيه ويؤدبه ﷺ ، فمثلاً مرة كان النبي ﷺ مشغولاً مع صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام ، وكان يطمع في إسلامهم رجاء أن يسلم أتباعهم ، فبينما رسول الله ﷺ مشتغل بمن عنده من وجوه قريش إذ جاء إليه صحابي مؤمن مخلص أعمى ، فرأى من مصلحة الدعوة أن هؤلاء لم يتوجهوا إلى الدعوة وسماع كلمة الحق إلا بعد جهد جهيد ، فلا بد من العناية بهم ، فلم يلتفت ﷺ إليه التفاتاً ملحوظاً ، فكره الله هذا التعامل للنبي ﷺ أن هناك رجلاً مؤمناً منقطعاً إلى الله في جانب ، وفي جانب آخر رجالاً منحرفين عن الدين ، ثائرين عليه ، فلا يناسب تفضيلهم على الرجل المؤمن الصالح ، فنزلت هذه الآيات : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ❖ أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى ❖ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ❖ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ❖ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ❖ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ❖ وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى ❖ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ❖ وَهُوَ يَخْشَى ❖ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ❖ كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ (سورة عبس الآيات/١ – ١١) .

كذلك نبه الله محمداً ﷺ في أسرى بدر ، بعد نجاحه في غزوتها ، ولم يؤيد رأيه الذي أبداه من فكرته ، وهناك مناسبات أخرى عديدة أمر فيها النبي ﷺ بالتعديل في رأيه ونال النبي ﷺ من بداية عمله التربية الإلهية والتوجيه الرباني ، واعتبر أعلى نموذج للناس ، ويتجلى جانب تربية وتعليم النبي ﷺ من الله بصفة خاصة في سورة الضحى ، ذات مرة خطر بباله أن عناية الله عز وجل ربما ضعفت به ، فقال الله عز وجل : ﴿وَالضُّحَى ❖ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ❖ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ❖ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى ❖ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ❖ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ❖ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى ❖ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ❖ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ❖ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ❖ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ .

أخبر الله تعالى بإقسام الصباح والمساء في الآيات الأولى وهو يخاطب محمداً ﷺ : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ❖ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى﴾ أي

لم يتركك ربك ، ولم يبغضك ، والآخرة خير لك من الدنيا وسيمنحك الله نعماً وآلاء تسرّك ، ألم تكن يتيماً في المجتمع ، فجعل لك أسباباً تقوي حياتك ، فيه إشارة إلى أن الله تعالى ألقى في قلوب الجد والعم شفقة ومحبة لولده بعد وفاة والديه ، فكان يشفقان عليهما مثل أولادهما .

أخبر في الآيات التي تليها ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى﴾ أي إنك كنت حيراناً في اختيار منهج الحياة ، فهداك إلى الصراط المستقيم ، فيه إشارة إلى أن النبي ﷺ كان حذراً كل نوع من التقاليد الجاهلية فجعل الله تعالى جعل له بيئة وأعطاه فطرة كانت منعزلة عن الموروثات الجاهلية ، وذات حيطة فيها ، فكان ﷺ بعيداً كل البعد من سيئات هذا المجتمع ، وحذراً منها ، ولما بلغ سن الرشد جعل يقضي أوقاته في غار خارج مدينته ، وحيداً فريداً ويتفكر في نعم الله وينعزل عن المجتمع .

وقال في الآية الثالثة ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ كنت عائلاً فأغناك ، فيه إشارة إلى أن النبي ﷺ لما بلغ سن الرشد أرشده الله إلى العناية بالاقتصاد والمعيشة ، فصار غنياً باختيار وسائل مناسبة لها .

وقال في الآية الرابعة : ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي إياك أن تشدد على اليتيم وتعامل معاملة القسوة مع السائل ، واذكر أمام الناس ما أنعم الله به عليك من النبوة والتوفيق الخالص .

حكم التربية الإلهية :

كان قضاء الله أن يحمّل آخر أنبيائه محمداً (ﷺ) من المسئوليات التي لايطيقها عامة الناس فاجتاز من بداية عمره بمراجل صعبة وشديدة في حياته ، كانت ممهدة لمهمته ورسالته وتجرع المرائر في الإنسان ، لأن المصايب تفتق القرائح ، وتجلي عن المواهب المكنونة ، فواجه مشكلة اليتم أولاً ، ولم يبلغ بعد ولادته سن الشعور والإدراك حتى توفي أبوه ، ولما بلغ السادسة من عمره توفيت أمه ، رغم أن زملاءه كان أبواهم أحياء ، ومعلوم أن هذه الحالة تكون أشدّ تأثيراً في قلب طفل صغير السن ، من أذى ذهني ، وهزيمة قلبية ، وبعد وفاة الوالدة كان الجد يشفق عليه ثم إنه انتقل إلى رحمة الله تعالى في عامه الثامن ، لا يمكن أن يتحمل طفل مثل هذا الحرمان عامة ، ويضل عن الصراط المستقيم بفقدان المشرفين الأصلاء عليه ، فلا تمثل حياته سلوكاً طيباً ، ولا يتحقق حلمه ، لكن استبدل الله عز وجل

هذا الحرمان بالفضل الإلهي ، وتوفرت له الهمة الموهوبة أن قد نشأت فيه عاطفة تحمل الأحوال الصعبة واختيار السبل حسب الحاجة والإرادة ، منح الله هذه الهمة محمداً ﷺ بصفة خاصة ، فكان النبي ﷺ يدرك مقتضيات الأوضاع والحوادث ويواجه تحديات الحياة بأحسن طريق ، ويعيش بين الناس عيشة سعيدة ، ذات سماحة ، ويقضي حياته طاهرة ، ولما شب قليلاً رعى الأصنام على الأجرة طلباً للرزق ، ولما صار شاباً باشر مهنة أسرته التجارة .

وكانت عند النبي ﷺ تسهيلات اقتصادية ، بحيث شعر بالضيق الاقتصادي لعمه أبي طالب ، لأنه كان له أولاد ، فاقترح أمام عمه العباس بن عبد المطلب أن يتكفل هو ومحمد ﷺ بولدين له على الأقل ، ويوفرا لأبي طالب سهولة ويسراً ، فقبل العباس هذا الرأي ، واختار هذا واحداً ، واختار محمد ﷺ آخر ، وكانت تبعة عقيل بن أبي طالب على العباس ، وتبعة علي بن أبي طالب على رسول الله ﷺ ، وظلا عندهما طول حياتهما .

وإن زواج أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها كان مبنياً على المصلحة الإلهية ، فهذه المرأة التي خطبها عدة أشراف مكة من ذوي أرحامها فاعتذرت إليهم قبلت خطبة سيدنا محمد ﷺ ، وكانت متقدمة في السن من النبي ﷺ بخمسة عشر عاماً ، وكان من فراسته أنه آثر زوجة صالحة قد أحكمته التجارب على زوجة جميلة مماثلة لعمره ، كأن هذا الاختيار جزء من قدر الله تعالى لتكون هذه الزوجة معواناً على عمله الدعوي العظيم الذي يبدؤه ﷺ بعد خمسة عشر عاماً ، فتم هذا بتوفيق الله بطريق فطري قبل نزول الوحي ، ثم ابتدأت سلسلة التعليم والوحي الإلهي بعد إكمال الأربعين سنة من عمره .

ولا شك أن التوجيهات والوسائل الفطرية التي يتلقاها النبي ﷺ قبل نبوته من الله ، والوحي الإلهي بعد نبوته صارت بديلاً لتعليمه الدنيوي في أي مدرسة أو جامعة ، فكانت حياته وسيرته اصطبغت بصبغة الله بدلاً من الوسائل التعليمية الإنسانية ، وصارت حياته إيمانية خالصة ، ونموذجاً إنسانياً كاملاً ، واعتبرت أسوة وقدوة للمؤمنين كلهم إلى يوم القيامة ، قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (سورة الأحزاب الآية/٢١) .

شخصية رسول ﷺ منارة النور العالمية :

نظراً إلى خصائص حياته الشاملة المثالية لزم أن لا نكتفي بالعمل بتعاليمه الدينية فحسب ، بل نتبع حياته الطاهرة بأقصى مايمكن ، حتى تكون حياتنا مرآة صادقة لأسوته ﷺ ، إن حياة النبي ﷺ بمحاسنها الإنسانية والمثالية ما كانت أسوة لأهل الإيمان فحسب ، بل مصباح الدجى للناس كافة ، فقد جعل ﷺ مدراراً للخير ينتفع به الجاحدون لنبوته فضلاً عن المؤمنين ، وقد بُعث رحمة للعالمين ، كما صرح بذلك الله في كتابه العزيز : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء الآية/١٠٧) .

بذلك كانت شخصية رسول الله ﷺ منارة النور العالمية الدائمة لهداية الإنسانية وفلاحها ، نلتقط منها في جانب ، الأحكام الإلهية التي أكرمنا الله بها بالوحي ، وفي جانب آخر نختار الصفات الموجودة في حياة النبي ﷺ الطيبة ، لتسير حياتنا على خطة الفلاح والصلاح المرسومة في سورة الفاتحة : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ، إن الإسلام دين عالمي ، جامع ، شامل لجميع جوانب الحياة الإنسانية ، ودين أبدي ، وبكونه أبدياً تكفل الله بصيانته ، لتستمر الاستفادة منه إلى يوم القيامة ، واختير لصيانة هذا الدين ذريعتان : القرآن وسنة رسول الله ﷺ ، القرآن كتاب إلهي ، نزل من سبع سماوات ، يصدق شرائع الأنبياء الكرام السابقة ويقدم تعاليم واضحة وتوجيهات ربانية وفقاً للأجيال والأزمان الآتية إلى يوم القيامة ، وقد وعد الله بصيانته في كتابه : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ، ومعنى صيانته صيانة الدين والسيرة والأخلاق ، وإن حياة النبي ﷺ الطاهرة صورة صادقة للقرآن ، مرة سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن ، أي إن سيرته موافقة للقرآن ، وهذه السيرة نجدها في صورة الأسوة الحسنة ، وأمرنا الله تعالى باختيارها ، فكان علماء المسلمين وأصحاب المغازي والسير ما زالوا يؤلفون كتب السيرة لتوجيه الناس إلى الصراط المستقيم ، وانهم رووا من الصحابة الكرام الذين ما كانوا كعامة الرجال ، بل هم أصحاب الصدق والوفاء والأمانة والدين ، المفدون بأنفسهم على رسول الله ﷺ ، المؤمنون بالله ورسوله وكتابه إيماناً صادقاً ، وقد صدق القرآن بصلاحهم وتقواهم ، ورد في آخر آية من سورة الفتح : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً

يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (سورة الفتح الآية/٢٩) .

جامعية السيرة النبوية :

إن تدوين السيرة النبوية ليس وراءه إلا أن تبقى وتدوم الاستفادة من الأسوة الحسنة ، وإن ما ألف من كتب حول السيرة ما بين مفصل ومختصر ، وبعض المؤلفات لم يكشف فيه إلا جانب واحد ، فتكونت مكتبة عظيمة قيمة عن السيرة ، وهي تبرز جوانب متنوعة لسيرة النبي ﷺ وتكشف جامعية وشمولية هذه السيرة المثالية الرفيعة .

يتحدث العلامة السيد سليمان الندوي (١٩٥٣م) عن جامعية السيرة المحمدية وأبديتها وكمالها وشمولها في محاضراته : "ولن تجد الجمع بين هاتين الخصلتين المختلفتين (الجلال والجمال) جمعاً قويماً عزيز الوجود إلا في حياة محمد ﷺ ، فإنه هو الذي مثلت حياته أعمالاً كثيرة متنوعة ، بحيث تكون فيها الأسوة الصالحة ، والمنهج الأعلى للحياة الإنسانية في جميع أطوارها : لأنها جمعت بين الأخلاق العالية ، والعادات الحسنة ، والعواطف النبيلة المعتدلة ، والنوازع العظيمة القويمة .

إذا كنت غنياً مثرياً : فاقتد بالرسول ﷺ عند ما كان تاجراً يسير بسلعة بين الحجاز والشام ، وحين ملك خزائن البحرين ، وإن كنت فقيراً معدماً : فلتكن لك أسوة به وهو محصور في شعب أبي طالب ، وحين قدم إلى المدينة مهاجراً إليها من وطنه ، وهو لا يحمل من حطام الدنيا شيئاً ، وإن كنت ملكاً : فاقتد بسننه وأعماله حين ملك أمر العرب ، وغلب على آفاقهم ، ودان لطاعته عظماؤهم ، وذوو أحلامهم ، وإن كنت رعية ضعيفاً : فلك في رسول الله أسوة حسنة أيام كان محكوماً بمكة في نظام المشركين ، وإن كنت فاتحاً غالباً : فلك من حياته نصب أيام ظفره بعدوه في بدر ، وحنين ، ومكة ، وإن كنت منهزماً - لا قدر الله ذلك - فاعتبر به في يوم أحد وهو بين أصحابه في صف المسجد ، وإن كنت واعظاً ناصحاً ومرشداً أميناً : فاستمع إليه وهو يعظ الناس على أعواد المسجد النبوي ، وإن أردت أن تقيم الحق ، وتصدع بالمعروف ، وأنت لا ناصر لك ، ولا معين :

فانظر إليه وهو ضعيف بمكة ، لا ناصر ينصره ، ولا معين يعينه ، ومع ذلك فهو يدعو إلى الحق ، ويعلن به ، وإن هزمت عدوك وخضدت شوكته ، وقهرت عناده ، فظهر الحق على يدك ، وزهق الباطل ، واستتب لك الأمر : فانظر إلى النبي ﷺ يوم دخل مكة ، وفتحها ، وإن أردت أن تصلح أمورك ، وتقوم على ضياعك ؛ فانظر إليه ﷺ وقد ملك ضياع بني النضير ، وخيبر ، وفدك ، كيف دبّر أمورها ، وأصلح شؤونها ، وفوضها إلى من أحسن القيام عليها ، وإن كنت يتيماً ؛ فانظر إلى فلذة كبد آمنة وزوجها عبد الله وقد توفيا وابنهما صغير رضيع ، وإن كنت صغير السن ، فانظر إلى ذلك الوليد العظيم حين أرضعته مرضعته الحنون حليمة السعدية ، وإن كنت شاباً : فاقرأ سير راعي مكة ، وإن كنت تاجراً مسافراً بالبضائع ؛ فلاحظ شؤون سيد القافلة التي قصدت بُصرى ، وإن كنت قاضياً ، أو حكماً ؛ فانظر إلى الحكم الذي قصد الكعبة قبل بزوغ الشمس ليضع الحجر الأسود في محله ، وقد كاد رؤساء مكة يقتتلون ، ثم ارجع البصر إليه مرة أخرى ، وهو في فناء مسجد المدينة يقضي بين الناس بالعدل ، يستوي عنده منهم الفقير المعدم ، والغني المثري ، وإن كنت زوجاً ؛ فاقرأ السيرة الطاهرة ، والحياة النزيهة لزوج خديجة ، وعائشة ، وإن كنت أبا أولاد ؛ فتعلم ما كان عليه والد فاطمة الزهراء ، وجد الحسن والحسين ، وأيا من كنت ، وفي أي شأن كان شأنك ، فإنك مهما أصبحت ، أو أمسيت ، وعلى أي حال بت ، أو أضحيت ؛ فلك في حياة محمد ﷺ هداية حسنة وقدوة صالحة تضيء لك بنورها دياجي الحياة وينجلي لك بضوئها ظلام العيش ، فتصلح ما اضطرب من أمورك ، وتثقف بهديه أودك ، وتقوم بسنته عوجك ، وإن السيرة الطيبة الجامعة لشتى الأمور هي ملاك الأخلاق ، وجماع التعاليم لشعوب الأرض ، وللناس كافة في أطوار الحياة كلها ، وأحوال الناس على اختلافها ، وتنوعها ، فالسيرة المحمدية نور للمستنير ، وهديها نبراس للمستهدي ، وإرشادها ملجأ لكل مسترشد (الرسالة المحمدية للعلامة السيد سليمان الندوي ص/١١٧ – ١١٨ بتعريب الشيخ محمد ناظم الندوي) .

جُعل محمد ﷺ نبياً ، ثم إمام الأنبياء وخاتمهم في قوم أميين ، تبدو منه حكمة عظيمة أيضاً أن كل رجل يحمل معلومات من بدايته ، وهذه المعلومات تكون مبنية على رؤيته وعلى الأقوال السائرة في بيئته ، ثم يتعلم ،

فتكون لديه ثروة قيمة من المعلومات ، وقد حصل عليها من معلمه أو مدرسته ، وهي تكون معاونة له في شئون حياته والأمور الأخرى ، ويكوّن حياة جديدة ، ومنهجاً ونظاماً ، جعل الله محمداً ﷺ أمياً ، ثم علمه بالوحي ودرسه في مدرسته بكلامه ، فلم يكن متعلماً حسب النظام العام في الدنيا ، بل كان متأدباً في أعلى مدرسة إلهية ، حيث تعرف على حقائق ومواهب لم ينلها أحد ، فقد اختيرت هذه الطريقة لإبلاغ الأحكام الإلهية والتعاليم التربوية إلى الناس ، فجعل الناس يتلقون كلاماً أنزل عليه من الله خالق الكون ، قال الله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (سورة الجمعة الآية/٢) وقال : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الحشر الآية/٧) وقال : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (سورة الأحزاب الآية/٢١) وقال : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ (سورة النجم الآيتان/٣ – ٤) .

فما كان النبي ﷺ ناشر ومبلغ القرآن الكريم فقط ، بل ترجمان صادق لرضوان الله ، وإن القرآن الذي هو كلام الله ، والحديث النبوي الذي هو كلام الرسول ﷺ كلاهما جزءان من الوحي المنزل على محمد ﷺ ، ووسيلتان للهدى الإنساني ، فكما كان القرآن رحمة الناس كذلك جعل النبي ﷺ رحمة للإنسانية ، ولقب برحمة للعالمين من عند الله ، قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة سبأ الآية/٢٨) .

وجعل النبي ﷺ أستاذاً ومربياً للأجيال الإنسانية ، ومبلّغاً لعلم الصلاح الإنساني ، قال الله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (سورة التوبة الآية/٣٣) وقال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ۝ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ (سورة الأحزاب الآيتان/٤٥ – ٤٦) .

منهج التعليم والتربية في القرآن لآخر نبي وأمته :

قد واجه رسول الله ﷺ في حياته ، ا قبل النبوة التي كانت قبل نزول الرسالة السماوية والأحكام القرآنية أوضاعاً جعلته أهلاً لتحمل المسئولية

الصعبة للنبوة ، وأدائها على أحسن وجه ، فنشأت عنده مواهب للقيام الحسن بهذه المسئولية الضخمة ، إذا ألقينا نظرة على حياة النبي ﷺ ما قبل النبوة تجلى لنا أن الله تعالى قدر له ظروفاً مستتبة في تكوين شخصيته ، واجه اليتم بهزيمة القلب واليأس ومركب النقص ، إما بحرمان شفقة ونصح الوالدين أو عدم مبالاة الناس به بسبب اليتم ، وهذه الحالة تؤثر في أخلاق وسلوكيات اليتيم تأثيراً كبيراً ، وإذا قدر لهذا اليتيم ناصح ومشرف مثل الوالدين تبدلت هزيمة القلب واليأس بالثقة بالنفس والصبر والمصابرة ، لقد توافرت للنبي ﷺ مثل هذه الحالة ثم ساعده على اتصافه بالمثل العليا ونشأة الثقة بالنفس فيه انتماؤه إلى قريش ولا سيما في أسر بني هاشم ، فنال ﷺ أعلى درجة لحسن الظن والتقدير والتبجيل في المجتمع ، وجعل الناس يلقبونه بالصادق والأمين ، بعد ما رأوا سلوكه الرفيع وخلقه النبيل ، والمراد بالصادق الذي يوافق قوله عمله ، وقيامه بطريقة حسنة ، هذا هو معنى الصدق . فلقب ﷺ بالصادق ، وهو لا يعني إلا أن يطابق قوله عمله في حياته ويقوم به بأحسن أسلوب ، والمراد بالأمين أداء الحقوق والمسئوليات أداءاً صحيحاً ، ولقبه الناس أميناً لأنهم رأوا هذه الخصيصة بصفة ممتازة ، ما كان التعليم والتعلم سائداً في مجتمعه حسب التقاليد العامة ، فكان تأثير ذلك أن فطرته وتكوين ذهنه لم يتأثر بتأثيرات الأساتذة ومناهج الدرس ، التي تكون حاملة لموادها وأفكار وميول المعلمين ، فبفقدانهما كان تكوين شخصيته تحت دائرة فطرية ومثل أسرية رفيعة ، فلم تأت فرصة للتأثير بأفكار الأساتذة أو بالنظام التعليمي والتربوي الذي اختاره الناس ، فتربي النبي ﷺ خلقياً وعقدياً تحت حالات جيدة بسيطة معينة من الله تعالى ، كما ورد في سورة "الضحى" .

كان مجتمعه نظراً إلى الفطرة الإنسانية ترجماناً لصورته الأصيلة ، وكان مجتمع عرب أميين ، لم يتأثر بمنهج تعليم أو ثقافة ، لأنه لم يعم فيهم التعليم ، وكانوا منقطعين عن العالم الخارجي ، وقد قصرتهم الحياة الأسرية في قرى محدودة وكان لقريش مكة مجتمع خاص وممتاز بين العرب ، وكان معترفين به لدى العرب ، وقد توافرت لهذا المجتمع أسباب جعلته مجتمعاً صالحاً لأنه كان سادن الكعبة المقدسة ، فقضى رسول الله ﷺ أربعين سنة بصلاحه وطهارة خلقه ، ثم اختير للنبوة ، وكان توجيهه

وتربيته بالوحي الإلهي ، فاكتملت شخصيته لأداء مسؤليات نبوته بأحسن طريق ، وتأثيره على بيئته ، ولا يزال يفيض الله عليه بالإرشادات والتوجيهات حسب الحاجة في مشاكل هذا السبيل ، وكلما حزبه أمر أو أصابه هم شخصياً في أحواله المختلفة أوحي إليه ، فيسكن فؤاده ويطمئن قلبه .

لما آذاه أبو لهب أحد أعمامه ﷺ برفض دعوته وأقام جبهة ضد الدعوة الإسلامية ، واستعمل لذلك كلمة مؤذية ومهينة وقال : تباً لك ، فأخبر في الآيات التي نزلت عليه لتقويه فؤاده : الهلاك والدمار لأبي لهب ، ولزوجته التي تشتغل بعمل وضيع ، وإنهما سيصابان بعذاب شديد في الآخرة بعد هذه الحياة الفانية ، فإنه يظلم نفسه ، ويهلك ، فليس لك أن تتفكر فيه ، قال الله عز وجل : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۞ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ (سورة المسد الآيات/١ – ٥) .

ولما طعن في نفسه أنه ليس له ولد ذكر ، رغم أن الولد الذكر كان له أهمية كبيرة لدى العرب ، وكانت تجري فيهم الحروب فإذا كان في الأسرة أولاد ذكور كان الفتح قريباً ، وحينما طعن المشركون في نفسه فخفف الله تعالى حزنه بالوحي الإلهي أننا قدرنا لك الكوثر النعمة العظمى ، فعليك أن تصلي لله تعالى وتنحر على اسمه ، إن شانئك لا يبقى ولا يدوم ، ولا شك أن الذريات والأسر بالأولاد الذكور تستمر ، لكن سلسلتك تمتد بدون الولد الذكر بدرجة فائقة ، وتنتهي سلسلة شانئيك ولا تدوم ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۞ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (سورة الكوثر الآيات/١ – ٣) .

هذه أمثلة لبعض السور الوجيزة ، وإن هناك سوراً كبيرة أيضاً نزلت على النبي ﷺ لتسليته ﷺ ، فعلى سبيل المثال أن سورة القصص ذكرت فيها قصة موسى عليه السلام أن قد حدثت له أحوال في طفولته وأيام صباه يكاد أن يقتل ، لكن الله عز وجل نجاه فنشأ وترعرع لدى أعدائه وأجانبه وجعلهم الله تعالى ذريعة لصيانته وصانه ، ثم اضطر إلى أن يهاجر ، فنصره الله هناك ، وجعله نبياً ، وبعد نبوته قابل الملك الذي كان عدواً له شديداً ، لكن الله تعالى ما زال ينجيه ، وفي الأخير دمر الله أعداءه ،

هذه الأحوال تشبه الأحوال التي حدثت في زمن النبي ﷺ ، الواقع أن همومه ﷺ تكون خفيفة بل زائلة بتلاوة هذه القصة .

نزلت سورة يوسف تحقيقاً لهذا الهدف ، وقد أصر إخوانه على قتله في صباه ، لكن الله نجاه ، ثم اجتاز يوسف عليه السلام أحوالاً صعبة مهينة عند الآخرين ، لكن الله وقاه هذه المخاطر ، وخلق أسباباً لتشريفه وتكريمه ، ونال شرفاً صار به نائب الملك ، ثم أكرم بالنبوة ، وهو شرف ثنائي مزدوج ، فأبدى انطباعاته على هذا أن من يعيش بالحذر والحيطة ويتحمل المصائب بصبر وطمأنينة ، لا يضيع الله أجر هؤلاء المحسنين ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة يوسف الآية/٩٠) .

إن أمثال هذه الآيات التي نزلت في مواقفه الحرجة لتقوية فؤاده تحدث كيفيات نفسية واجتماعية في صورة غلبته على الأعداء ، ثم كان الوحي ينزل ، فيرشده إلى الصدق والصواب ، ويتربى في جانب أصحابه ورفاقه ، فكان القرآن وسيرة الرسول ﷺ مرآة بعضها بعضاً ، ويشير إلى ذلك قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : كان خلقه القرآن .

بهذا الأسلوب من التوجيهات الربانية قام مجتمع رفيع لا يوجد نظيره في التاريخ الإنساني ، وكان هذا المجتمع للصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا لا يجدون مثيلاً له نظراً إلى حب وعظمة النبي ﷺ ، ويعتبرون عمله أسوة ونموذجاً لهم ، فاصطبغوا بهذه الصبغة التي أفاض الله على نبيه ، فلم يكن الوحي الإلهي قد ربى النبي ﷺ فقط ، بل قام به بتربية أصحابه أجمعين ، وقد ذكر الله أمثلته في مواضع متعددة في القرآن الكريم : قال الله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (سورة الأنفال الآيات/٧٢ – ٧٥) .

بين الحضارة الحاضرة والشريعة الغراء

بقلم :الإمام الداعية الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي
ترجمة : الدكتور إحسان قاسم الصالحي

إبان الهدنة ، نهاية الحرب العالمية الأولى ، وفي ليلة من ليالي الجمعة ، دخلت مجلساً مهيباً في عالم المثال ، وذلك في رؤيا صادقة ، فسألوني : ماذا سيحدث لعالم الإسلام عقب هذه الهزيمة ؟

أجبت بصفتي ممثلاً عن العصر الحاضر ، وهم يستمعون إلي : إن هذه الدولة التي أخذت على عاتقها – منذ السابق – حماية استقلال العالم الإسلامي ، وإعلاء كلمة الله بالقيام بفريضة الجهاد – فرضاً كفائياً – ووضعت نفسها موضع التضحية والفداء عن العالم الإسلامي الذي هو كالجسد الواحد حاملة راية الخلافة ، أقول : إن هذه الدولة ، وهذه الأمة الإسلامية ، ستعوض عن هذا البلاء الذي أصابها ، سعادة يرفل بها العالم الإسلامي ، وحرية يتمتع بها ، وستتلافى المصائب والأضرار الماضية ، فالذي يكسب ثلاثمائة بدفع ثلاث لا شك أنه غير خاسر ، وذو الهمة يبدل حاله الحاضرة إلى مستقبل زاهر ، فهذه المصيبة قد بعثت الشفقة والأخوة والترابط بين المسلمين بعثاً خارقاً .

إن تنامي الأخوة بين المسلمين يسرع في هز المدنية الحاضرة ويقرب دمارها ، وستتبدل صورة المدنية الحاضرة ، وسيقوض نظامها ، وعندها تظهر المدنية الإسلامية ، وسيكون المسلمون أول من يدخلونها بإرادتهم .

وإن أردت الموازنة بين المدنية الشرعية والمدنية الحاضرة ، فدقق النظر في أسس كل منهما ثم انظر إلى آثارهما .

إن أسس المدنية الحاضرة سلبية ، وهي أسس خمسة ، تدور عليها رحاها .

فنقطة استنادها : القوة بدل الحق ، وشأن القوة الاعتداء والتجاوز والتعرض ، ومن هذا تنشأ الخيانة .

هدفها وقصدها : منفعة خسيسة بدل الفضيلة ، وشأن المنفعة : التزاحم والتخاصم ، ومن هذا تنشأ الجناية .

دستورها في الحياة : الجدال والخصام بدل التعاون ، وشأن الخصام : التنازع والتدافع ، ومن هذا تنشأ السفالة .

رابطتها الأساس بين الناس : العنصرية التي تنمو على حساب غيرها ، وتتقوى بإبتلاع الآخرين ، وشأن القومية السلبية والعنصرية : التصادم المريع ، وهو المشاهد ، ومن هذا ينشأ الدمار والهلاك .

وخامستها : هي أن خدمتها الجذابة ، تشجيع الأهواء والنوازع ، وتذليل العقبات أمامهما ، وإشباع الشهوات والرغبات ، وشأن الأهواء والنوازع دائماً : مسخ الإنسان ، وتغيير سيرته ، وتتغير بدورها الإنسانية وتمسخ مسخاً معنوياً .

إن معظم هؤلاء المدنيين ، لو قلبت باطنهم على ظاهرهم ، لرأيت في صورتهم سيرة القرد والثعلب والثعبان والدب والخنزير .

نعم ، إن خيالك ليمس فراء تلك الحيوانات وجلودها ، وآثارهم تدل عليهم .

إنه لا ميزان في الأرض غير ميزان الشريعة ، إنها رحمة مهداة نزلت من سماء القرآن العظيم .

أما أسس مدنية القرآن الكريم ، فهي إيجابية تدور سعادتها على خمسة أسس إيجابية .

نقطة استنادها : الحق بدل القوة ، ومن شأن الحق دائماً : العدالة والتوازن ، ومن هذا ينشأ السلام ويزول الشقاء .

وهدفها : الفضيلة بدل المنفعة ، وشأن الفضيلة : المحبة والتقارب ، ومن هذا تنشأ السعادة وتزول العداوة .

دستورها في الحياة : التعاون بدل الخصام والقتال ، وشأن هذا الدستور : الاتحاد والتساند اللذان تحيا بهما الجماعات .

وخدمتها للمجتمع : بالهدى بدل الأهواء والنوزاع ، وشأن الهدى : الارتقاء بالإنسان ورفاهيته إلى ما يليق به مع تنوير الروح ومدها بما يلزم .

رابطتها بين المجموعات البشرية : رابطة الدين والانتساب الوطني وعلاقة الصنف والمهنة وأخوة الإيمان ، وشأن هذه الرابطة : أخوة خالصة ، وطرد العنصرية القومية السلبية .

وبهذه المدنية يعم السلام الشامل ، إذ هو في موقف الدفاع ضد أي

عدوان خارجي .

والآن ندرك لِمَ أعرض العالم الإسلامي عن المدنية الحاضرة ، ولم يقبلها ، ولم يدخل المسلمون فيها بإرادتهم ، إنها لا تنفعهم ، بل تضرهم ، لأنها كبلتهم بالأغلال ، بل صارت سماً زعافاً للإنسانية بدلاً من أن تكون لها ترياقا شافياً ؛ إذ ألقت ثمانين بالمائة من البشرية في شقاء ، لتعيش عشرة بالمائة منها في سعادة مزيفة ، أما العشرة الباقية فهم حيارى بين هؤلاء وهؤلاء .

وتتجمع الأرباح التجارية بأيدي أقلية ظالمة ، بينما السعادة الحقة ، هي في إسعاد الجميع ، أو في الأقل أن تصبح مبعث نجاة الأكثرية .

والقرآن الكريم النازل رحمة للعالمين لا يقبل إلا طرازاً من المدنية التي تمنح السعادة للجميع أو الأكثرية ، بيمنا المدنية الحاضرة قد أطلقت الأهواء والنوازع من عقالها ، فالهوى حر طليق طلاقة البهائم ، بل أصبح يستبد ، والشهوة تتحكم ، حتى جعلتا الحاجات غير الضرورية في حكم الضرورية ، وهكذا محيت راحة البشرية ؛ إذ كان الإنسان في البداوة محتاجاً إلى أشياء أربعة ، بينما أفقرته المدنية الحاضرة الآن وجعلته في حاجة إلى مائة حاجة وحاجة ، حتى لم يعد السعي الحلال كافياً لسد النفقات ، فدفعت المدنية البشرية إلى ممارسة الخداع والانغماس في الحرام ، ومن هنا فسدت أسس الأخلاق ، إذ أحاطت المجتمع والبشرية بهالة من الهيبة ووضعت في يدها ثروة الناس فأصبح الفرد فقيراً وفاقدا للأخلاق .

والشاهد على هذا كثير ، حتى إن مجموع ما ارتكبته البشرية مِن مظالم وجرائم وخيانات في القرون الأولى قاءتها واستفرغتها هذه المدنية الخبيثة مرة واحدة ، وسوف تصاب بالمزيد من الغثيان في قابل أيامه (١) ومن هنا ندرك لِمَ يتوانى العالم الإسلامي في قبولها ويتحرج ، إن استنكافه منها له مغزى يلفت النظر .

نعم ، إن النور الإلهي في الشريعة الغراء يمنحها خاصة مميزة وهي الاستقلال الذي يؤدي إلى الاستغناء .

---

(١) معنى أنها ستتقيأ قيئا أشد وأفظع ، نعم ، لقد قاءت واستفرغت بحربين عالميتين حتى لطخت بالدم البر والبحر والهواء (المؤلف) .

هذه الخاصية لا تسمح أن يتحكم في ذلك النور "دها" (٢) روما – الممثل لروح هذه المدنية – ولا يطعم بها ولا يمتزج معها ، ولن تكون الشريعة تابعة لذلك الدهاء .

إذ الشريعة تربي في روح الإسلام الشفقة وعزة الإيمان ، فلقد أخذ القرآن بيده حقائق الشريعة ، كل حقيقة منها عصا موسى (في تلك اليد) ، وستسجد له تلك المدنية الساحرة سجدة تبجيل وإعجاب .

والآن دقق النظر في هذا : كانت روما القديمة واليونان يملكان دهاءً ، وهما دهاءان توأمان ، ناشئان من أصل واحد ، أحدهما غلب الخيال عليه ، والآخر عبد المادة ، ولكنها لم يمتزجا ، كما لا يمتزج الدهن بالماء ، فحافظ كل منهما على استقلاله رغم مرور الزمان ، ورغم سعي المدنية لمزجهما ، ومحاولة النصرانية لذلك ، إلا أن جميع المحاولات باءت بالإخفاق .

والآن ، بدلت تلكما الروحان جسديهما ، فأصبح الألمان جسد أحدهما والفرنسيون جسد الآخر ، وكأنهما قد تناسخا منهما .

ولقد أظهر الزمان أن ذينك الدهاءين التوأمين قد ردّا أسباب المزج بعنف ، ولم يتصالحا إلى الوقت الحاضر .

فلئن كان التوأمان الصديقان الأخوان الرفيقان في الرقي قد تصارعا ولم يتصالحا ، فكيف يمتزج هدى القرآن – وهو من أصل مغاير ومعدن آخر ومطلع مختلف – مع دهاء روما وفلسفتها ؟! فلذلك الدهاء ، وهذا الهدى مختلفان في المنشأ .

الهدى نزل من السماء ، والدهاء خرج من الأرض .

الهدى فعّال في القلب ، يدفع الدماغ إلى العمل والنشاط ، بينما الدهاء فعال في الدماغ ، ويعكر صفو القلب ويكدره .

الهدى ينور الروح حتى تثمر حباتها سنابل ، فتتنور الطبيعة المظلمة ، وتتوجه الاستعدادات نحو الكمال ، ولكن يجعل النفس الجسمانية خادمة مطيعة ، فيضع في سيماء الإنسان الساعي الجاد صورة الملك ، أما الدهاء

(٢) كلمة "الدهاء" في هذا المبحث يقصد منها ، المفاهيم المادية التي تتبناها حضارة الغرب ، أو الفكر المادي في فلسفته ، ولقد أبقينا الكلمة كما هي لما فيها من تجانس جميل مع الهدى (المترجم) .

فيتوجه مقدما إلى النفس والجسم ويخوض في الطبيعة ، ويجعل النفس المادية مزرعة لإنماء الاستعداد النفساني وترعرعه ، بينما يجعل الروح خادمة ، حتى تتيبس بذورها وحباتها ، فيضع في سيماء الإنسان صورة الشيطان .

الهدى يمنح السعادة لحياة الإنسان في الدارين وينشر فيهما النور والضياء ، ويدفع الإنسان إلى الرقي ، أما الدهاء الأعور كالدجال ، فيفهم الحياة أنها دار واحدة فحسب ، لذا يدفع الإنسان ليكون عبد المادة ، متهالكا على الدنيا حتى يجعله وحشاً مفترساً .

نعم ، إن الدهاء يعبد الطبيعة الصماء ، ويطيع القوة العمياء ، أما الهدى فإنه يعرف الصنعة المالكة للشعور ، ويقدر القدرة الحكيمة .

الدهاء يسدل على الأرض ستار الكفران ، والهدى ينثر عليها نور الشكر والامتنان .

ومن هذا السر : فالدهاء أعمى وأصم ، والهدى سميع بصير .

إذ في نظر الدهاء : لا مالك للنعم المبثوثة على الأرض ولا مولى يرعاها ، فيغتصبها دون شكران ، إذ الاقتناص من الطبيعة يولد شعوراً حيوانياً ، أما في نظر الهدى فإن النعم المبسوطة على الأرض هي ثمرات الرحمة الإلهية ، وتحت كل منها يد المحسن الكريم ، مما يحض الإنسان على تقبيل تلك اليد بالشكر والتعظيم .

زد على ذلك : فمما لا ينبغي أن نتكر أن في المدنية محاسن كثيرة ، إلا أنها ليست من صنع هذا العصر ، بل هي نتاج العالم وملك الجميع ، إذ نشأت بتلاحق الأفكار وتلاقحها ، وحث الشرائع السماوية – ولا سيما الشريعة المحمدية – وحاجة الفطرة البشرية ، فهي بضاعة نشأت من الانقلاب الذي أحدثه الإسلام ، لذا لا يتمكلها أحد من الناس .

وهنا عاد رئيس المجلس فسأل قائلاً : يا رجل هذا العصر ! إن البلاء ينزل دوما نتيجة الخيانة ، وهو سبب الثواب ، ولقد صفع القدر صفعته ونزل القضاء بهذه الأمة ، فبأي من أعمالكم قد سمحتم للقضاء والقدر حتى أنزل القضاء الإلهي بكم البلاء ومسكم الضر ؟ فإن سبب نزول المصائب العامة هو خطأ الأكثرية من الناس .

قلت : إن ضلال البشرية وعنادها النمردي وغرورها الفرعوني ،

تضخم وانتفش حتى بلغ السماء ومسّ حكمة الخلق ، وأنزل من السماوات العلى ما يشبه الطوفان والطاعون والمصائب والبلايا ، تلك هي الحرب العالمية الحاضرة ، إذ أنزل الله سبحانه لطمة قوية على النصارى بل على البشرية قاطبة ، لأن أحد أسبابها التي يشترك فيها الناس كلهم هو الضلال الناشئ من الفكر المادي ، والحرية الحيوانية ، وتحكم الهوى .

أما ما يعود إلينا من سبب هو : إهمالنا أركان الإسلام وتركنا الفرائض ؛ إذ طلب منا سبحانه وتعالى ساعة واحدة من أربع وعشرين ساعة ، وطلبها لأجلنا نحن ، لأداء الصلوات الخمس ، فتقاعسنا عنها ، وأهملناها غافلين ، فجازانا بتدريب شاق دائم لأربع وعشرين ساعة طوال خمس سنوات متواليات ، أي أرغمنا على نوع من الصلاة ! وأنه سبحانه طلب منا شهراً من السنة نصوم فيه رحمة بأنفسنا ، فعزّت علينا نفوسنا فأرغمنا على صوم طوال خمس سنوات ، كفارة لذنوبنا ، وأنه سبحانه طلب منا الزكاة عشراً أو واحداً من أربعين جزءاً من ماله الذي أعطاه لنا ، فبخلنا وظلمنا وخلطناه بالحرام ، ولم نعطها طوعاً ، فأرغمنا على دفع زكاة متراكمة ، وأنقذنا من الحرام ، فالجزاء من جنس العمل .

إن العمل الصالح نوعان : أحدهما : إيجابي واختياري ، والآخر : سلبي واضطراري .

فالآلام والمصائب كلها أعمال صالحة سلبية اضطرارية ، كما ورد في الحديث الشريف وفيه سلواننا وعزاؤنا (٣) ولهذا ، فلقد تطهرت هذه الأمة المدنبة وتوضأت بدمها ، وتابت توبة فعلية ، وكان ثوابها العاجل رفع خمس هذه الأمة العثمانية – أي أربعة ملايين من الناس – إلى مرتبة الولاية ومنحهم درجة الشهادة والمجاهدين ، وهكذا كفر عن الذنوب .

استحسن من في المجلس الرفيع المثالي هذا الكلام ، وانتبهت من نومي ، بل قد نمت مجدداً باليقظة ، لأنني اعتقد أن اليقظة رؤيا ، والرؤيا نوع من اليقظة .

---

(٣) انظر : مسلم ، الزهد ٦٤ ؛ الدارمي ، الرقاق ٦١ ؛ أحمد بن حنبل المسند ٤/٣٣٢ ، ٥/٢٤ ؛ ابن حبان ، ٧/١٥٥ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ٨/٤٠ .

شرح قصيدة : الكواكب الدرية

في مدح خير البرية المعروفة (بالبردة)

(الحلقة الثانية)

بقلم :الأستاذ الدكتور غريب جمعة
جدة – المملكة العربية السعودية

فما لعينيك إن قلت اكففا همتا وما لقلبك إن قلت استفق يهم (١)

---

(١) (قوله فما لعينيك) لما سأل النظام عما ذكر ، ولم يرد عليه المسئول جواباً لأن من شأن المحبين أن يكتموا الحب في أول الأمر ، بل جرت عادتهم بإنكاره بالمرة ، نزل الناظم المسئول منزلة المنكر وتعجب من حاله على فرض صدقة في الإنكار فقال : فما لعينيك الخ ، أي إذا صدقت في إنكارك الحب فأي شيء ثبت لعينيك أوجب لهما إنك إن قلت اكففا همتا ؟ وأي شيء ثبت لقلبك أوجب له أنك إذ قلت له استفق يهم ؟ فالفاء للإفصاح ، وجعلها بعضهم للعطف ، لكن الأول أظهر ، و "ما" في الموضعين اسم استفهام مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده ، وجملة قوله "اكففا" في محل نصب مقول القول ، وكذلك جملة "استفق" .

ومضى اكففا : أمسكا عن البكاء ، وهمتا بمعنى : سالتا مأخوذ من الهميان ، وهو السيلان ، فأصله هميتا ، فكتب ياؤه ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ثم حذفت الألف ، لالتقائها ساكنة مع التاء التي أصل السكون وإن عرض تحركها لمناسبة الألف وفي كلامه حذف التمييز المحول عن الفاعل ، أي همتا دمعاً ، والأصل همي دمعهما ، فحول الإسناد عن الدمع إليهما وأتى به تمييزاً ، لكن حذفه الناظم ، والقلب : لحم صنوبري الشكل أي شكله على شكل الصنوبر لأنه دقيق الأسفل غليظ الأعلى كهيئة قمع السكر ، وقال بعضهم :

القلب سر وضعه الله في هذه القطعة اللحمية فبتسميتها قلباً لحلوله فيها ، والسين والتاء في كلمة استفق زائد ثان فمعناه : أفق مما أنت فيه ، وقوله "يهم" مضارع هام يهيم إذا قام به الهيام ، وهو داء كالجنون ينشأ من العشق وغيره ، وفي البيت الطباق لأنه جمع فيه بين متقابلين في كل من الشطرين ، أما الشطر الأول فجمع فيه بين قوله : اكففا ، وقوله همتا ، وأما الشطر الثاني فجمع فيه بين قوله "استفق" وقوله "يهم" .

أيحسب الصب أن الحب مُنْكِتِمٌ ... ما بين منسجم منه ومضطرم (٢)
لولا الهوى لم ترق دمعاً على طلل ... ولا أرقت لذكر البان والعلم (٣)

(٢) قوله (أيحسب الصب) لما سأل المصنف المخاطب السؤال المسكت ، وألزمه الإلزام المبهت ، رجع إلى تغليظه في الإنكار ، فقال : أيحسب الصب ، الخ والهمزة للاستفهام الإنكاري ، ويحسب : بكسر السين وفتحها أي يظن ، وكان مقتضى ما سبق أن يعبر المصنف بتاء الخطاب لكنه التفت إلى الغيبة لما جرت به عادة الأدباء من تغيير كلامهم من أسلوب إلى أسلوب آخر وخطابا وغيبة تنشيطاً للسامع ، والصب العاشق من قولهم صب الماء لأنه لما كان كثير البكاء فكأنه يصب الدمع وقال بعضهم : من الصبابة وهي رقة العشق وحرارته وجملة "أن" واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي يحسب ، "والحب" عرفه بعضهم بأنه صفاء الحال بين المحبوب والمحب ، وقوله : منكتم أي مستتر ، و"ما" اسم موصول بمعنى الذي في محل نصب على أنه بدل من الحب أو صفة له وصدر الصلة محذوف أي المحب الذي هو بين الخ ، كذا قال بعض الشارحين وهو أظهر من جعل بعضهم "ما" زائدة وجعله "بين" ظرفاً لقوله منكتم ، وكل من منسجم ومضطرم صفة لموصوف محذوف ، والتقدير بين دمع منسجم منه وقلب مضطرم ، والمنسجم السائل ، من قولهم انسجم الماء : سال ، والمضطرم المشتعل من قولهم اضطرمت النار : اشتعلت ، والمعنى :

لا يظن العاشق أن الحب مستتر عن الناس الذي هو بين دمع سائل وقلب مشتعل من نار الحب وكل منهما من آثار الحب من كونهما ظاهرين ، وحينئذ فإنكار الحب غلط .

(٣) قوله (لولا الهوى ، الخ) لما غلط المصنف المسئول في إنكاره الحب استدل عليه بأدلة فقال : "لولا الهوى" والهوى مصدر هوى بكسر الواو : إذا أحب فهو بمعنى الحب ، وهو مبتدأ محذوف ، أي موجود "ولولا" حرف يدل على امتناع الجواب لوجود الشرط ، فالمعنى امتنع عدم إراقتك دمعاً على طلل لوجود الهوى .

وقوله لم ترق دمعاً أي لم تصله ، يقال أراق الماء ، أي صبه ويقال : هراق أيضاً بمعناه ، وكان مقتضى قوله أيحسب ، الخ أن يقول لم يرق بياء الغيبة (بفتح الغين) لكنه التفت إلى الخطاب لما تقدم ، والطلل : ما بقي من آثار الدار مرتفعاً ، فإن لم يكن مرتفعاً بأن كان ملتصقا بالأرض كان رسماً ، و "على" الداخلة عليه للتعليل أي لأجل طلل ، هذا إن لم يقدر وقوفه على الطلل كما هو المتبادر وإلا كانت بمعنى "في" ، وقوله "ولا أرقت" عطف على قوله "لم ترق" ، إلخ ، وأرقت بكسر الراء بمعنى سهرت ، والبان شجر طيب الرائحة ويتخذ منه دهن يعرف بدهن البان ، والعلم : يطلق على معان منها الجبل والرمح ، أي ولا سهرت لذكر البان والعلم –

ولا أعارتك لوني عبرة وضنى ... ذكرى الخيام وذكرى ساكني الخيم (٤)
فكيف ينكر حبا بعد ما شهدت ... به عليك عدول الدمع والسقم (٥)

– الكائنين بمحلّ المحبوب ، وعلى هذا فالبان والعلم باقيان على معناهما ، ويحتمل أنه شبه المحبوب بهما في طيب الرائحة وحسن الهيئة وطول القامة ، وإنما أورثه ذكرهما السهر لأن النوم إنما يكون من الرطوبة الصاعدة من المعدة إلى الدماغ ، والمحب تكثر حرارته فتنتفي عنه الرطوبة وحينئذ فلا ينام ، وتلك الرطوبة تنشأ غالباً عن كثرة الطعام والشراب ، والمحب يلهيه حبه عن طعامه وشرابه فتنتقص رطوبته وتتضاعف حرارته (٥) ولا سيما عند ذكر معاهد الأحباب أو ما هو شبيه بالأحباب ، وفي هذا البيت شبه الاشتقاق حيث جمع فيه بين ترق وأرقت .

(٤) قوله (ولا أعارتك ، إلخ) لما ذكر المصنف دليلين أردفهما بدليل ثالث على ما في بعض النسخ الذي شرح عليها بعض الشارحين ، لكن لم يوجد ذلك في كثير من النسخ ، وهو معطوف على قوله لم ترق ، إلخ ، ومعنى أعارتك أعطتك على سبيل العارية ، وقوله لوني عبرة وضنى ، معمول لأعارتك ، وفاعله "ذكرى – إلخ" والمراد باللونين هنا النوعان ، والعبرة بفتح العين : الدموع ، والضنى : المرض ، فانسجام الدموع على النحر بمثابة الدر المعلق عليه ، وذاك لون العبرة ، ورقة جسمه وصفرة لونه كثوب بديع الرقة والصبغ وذلك لون الضنى ، وفي الكلام استعارة بالكناية وتخييل لأنه شبه لوني العبرة والضنى بلباسين بجامع الزينة في كل ، أما المشبه به فظاهر ، وأما في المشبه فلأن آثار الحب زينة عند المحب فيتزين بها كما يتزين باللباس تشبيها مضمراً في النفس ، وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من ملائماته وهي الإعارة ، وقوله "ذكرى الخيام وذكرى ساكني الخيم" أي تذكر الخيام وتذكر ساكني الخيم ، فالذكرى فيهما بمعنى التذكر وكل من الخيام والخيم جمع خيمة وهي بيت تتخذه العرب من عيدان الشجر وحذفت النون من "ساكنين" للإضافة ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين .

(٥) قوله (فكيف تنكر ، إلخ) لما أقام المصنف على المسئول الأدلة على حبه مع صحة نتيجتها أنكر عليه دوامه بعد ذلك على الإنكار فقال : فكيف تنكر ، والفاء للإفصاح لأنها أفصحت عن شرط محذوف ، والتقدير : إذا قامت عليك الأدلة فكيف تنكر "وكيف" حال مقدمة مضمنة –

(٥) نقول : رحم الله الشارح الجليل فقد اجتهد وله أجره إن شاء الله ، والحق أن المعدة حينما تمتلئ بالطعام والشراب فإن جزءاً كبيراً من الدم الذي يذهب إلى المخ يتوجه إليها ليساعد في عملية الهضم ، وبالتالي تقل كمية الدم الواصلة إلى الرأس ومن هنا يشعر الإنسان بثقل رأسه والرغبة في النوم .

وأثبت الوجد خطي عبرة وضنى ... مثل البهار على خديك والعنم (٦)
نعم سرى طيف من أهوى فأرقني ... والحب يعترض اللذات بالألم (٧)

– معنى الاستفهام على وجه الإنكار ، ومعنى تنكر : تجحد ، والجحد هو النفس بعد العلم بخلافه قبله ، وقوله حباً معمول لتنكر ، و "بعد" ظرف له ، و "ما" يحتمل أن تكون مصدرية وهو الظاهر فالفعل بعدها وهو شهدت مؤول بمصدر ، والضمير في به عائد على الحب ، والتقدير على هذا : بعد شهادة عدول الدمع والسقم به عليك ، ويحتمل أن تكون اسم موصول بمعنى الذي ، وجملة شهدت صلة ، والضمير في به عائد على ما ، والتقدير على هذا : بعد الذي شهدت به عليك ، إلخ ، وفي شهدت استعارة تصريحية تبعية لأنه شبه الدلالة الواضحة بمعنى الشهادة بجامع الوضوح في كل ، واستعار الشهادة للدلالة ، واشتق من الشهادة بمعنى الدلالة ، شهدت بمعنى دلت : ولفظ العدول ترشيح للاستعارة والعدول جمع عدل ، والدمع هو الماء الجاري من العين ، والسقم بفتحتين المرض ويقال فيه سقم ، بضم فسكون لكن في غير النظم ، كما قال شيخ الإسلام ، وإضافة عدول للدمع والسقم للبيان أو من إضافة الصفة للموصوف ، واستعمال الجمع في الاثنين كما هنا كثير شائع ، واعترض هذا الجمع بأن العدل مصدر وهو لا يثنى ولا يجمع ، وأجيب بأن محل قولهم أن المصدر لا يثنى إذ اعتبرت مصدريته ، وهنا قد اعتبر ما نقل إليه ، وإنما ذكر كونهم عدولا للإشارة إلى أنه لا يمكن المخاطب رد شهادتهم .

(٦) قوله (وأثبت الوجد ، إلخ) أي وبعد ما أثبت الوجد ، إلخ فهو معطوف على شهدت ، والوجد هو الحزن بسبب الحب ، وقيل نيران أشواق تنشرها رياح المحبة عند سماع ذكر المحبوب ، وإسناد الإثبات إلى الوجد مجاز عقلي ، من قبيل الإسناد إلى السبب ، كما في قولك سرتني رؤيتك ، وقوله خطّي عبرة بفتح العين كما تقدم أي خطين من الدموع ، وقوله "وضنى" عطف على خطي عبرة لكن على تقدير مضاف أي وأثر ضنى ، وقوله مثل البهار في الصفرة "والعنم" بفتح العين والنون : شجر له أغصان حمر ، وقيل : ورد أحمر والخطان من العبرة أحمران لامتزاج الدمع بالدم ، فالخطان من الدمع مثل العنم في الحمرة ، وقوله على خديك ، متعلق بأثبت ، فتقدير البيت وأثبت الوجد على خديك خطي عبرة مثل العنم وأثر ضنى مثل البهار ، والمعنى : وكيف تنكر حباً بعد ما أثبت الوجد على خديك علامتين ظاهرتين على الحب ، فكل من رءاك يعرف الحب في وجهك ؟

(٧) قوله (نعم سرى ، إلخ) لما اتضح حال المسئول من الحب ولم يبق له سبيل إلى الإنكار أقر واعترف بذلك ، حيث قال (نعم ، إلخ) هكذا قال بعض الشارحين ، وعليه فالناظم لم يرجع –

يا لائمي في الهوى العذري معذرة ... مني إليك ولو أنصفت لم تلم (٨)

– من التجريد إلى التكلم ، وقال بعضهم : لما انكشف كون المسئول محباً ، وكان هو المتكلم في المعنى رجع من التجريد إلى التكلم واعترف بالحب حيث قال "نعم ، إلخ" والأول أقرب ، ونعم حرف إيجاب لما سبق ، فكأنه قال : "صدقت أيها السائل فيما نسبتي إليه من الحب ، وأن سبب مزج الدم بالدمع الجاري من المقلة تذكر المحبوبين ، كما هو الشق الأول من السؤال السابق ، فقال له السائل : "وما سبب تذكرك لهم ؟ فقال "سرى ، إلخ" وصلة "سرى" محذوف والتقدير "سرى إليّ" أي سار إلي ليلاً لأن السرى هو السير ليلاً ، وقوله : طيف من أهوى : أي خيال من أحب ، فالطيف خيال المحبوب و "أهوى" مضارع هوى بكسر الواو بمعنى أحب بخلاف هوى بفتح الواو فإنه بمعنى سقط ، وسبب ذلك الخيال أن النفس إذا ولعت بشيء حصلت صورته في القوة المخيلة فترى خياله في المنام كثيراً ، وقوله فأرقني أي أسهرني لأنه لما تذكر الحب (بكسر الحاء) ثارت عليه الحرارة وانتضت عنه الرطوبة فارتفع عنه النوم كما تقدم ، وقوله "والحب يعترض اللذات بالألم" أي يدفعها بالألم ، يقال اعترضه بالسهم إذا دفعه به ، فالألم هنا بمنزلة السهم واللذات بمنزلة الشخص الرامي .

ويحتمل أن المراد أن الحب يجعل الألم معرضة في اللذات فيصير الألم كالخشبة المعترضة في النهر ، ويحتمل أيضاً أن المعنى : أن الحب يغيب اللذات بالألم فإنه يقال عرض الشيء إذا غيبه والمراد باللذات ما كان فيه من النوم والتسلي عن المحبوبين وبالألم ما ينشأ عن الحب من شدة الوجد ، وحاصل المعنى : أنه صدقه فيما نسبه إليه من الحب بقوله "نعم" ثم ذكر له سبب تذكره للمحبوبين بقوله "سرى طيف من أهوى فأرقني" وذكر أنه أسهره بقوله "فأرقني" وذكر أنه بعد أن كان في لذة صار في ألم ، ولذلك قال : والحب يعترض اللذات بالألم ، ولبعضهم في هذا المعنى :

وزارني طيف من أهوى على حذر ... من الوشاة ، وداعي الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولي به فرحا ... وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا

(وقيل فائدة هذا البيت أن من كرره بعد صلاة العشاء حتى يغلب عليه النوم فإنه يرى المصطفى ﷺ في منامه إن شاء الله تعالى بشرط النية الصادقة في أنه يريد أن يرى النبي ﷺ ، والله أعلم) .

(٨) (قوله يا لائمي ، إلخ) لما أقر المسئول بالحب ، لامه السائل فيه فرجع المسئول على السائل يوبخه في لومه عليه فقال : يا لائمي ، إلخ وهذا كما ترى مبني على بقاء التجريد

وأما على أن الناظم رجع من التجريد إلى التكلم ، فيكون المصنف قد استشعر لائما عليه ، لأن المحب إذا أقر بالحب لامه عليه غيره ، فوبخه المصنف على لومه عليه ، وقوله "في الهوى العذري" بالذال المعجمة ، أو الهوى المنسوب إلى بني عذرة (بضم العين) وهم قبيله مشهورة باليمن ، يؤدي بهم الفسق إلى الموت ، لصدقهم في الحب ورقة قلوبهم ، والمقصود من النسبة –

عدتك حالي لا سرى بمستتر عن الوشاة ولا دائي بمنحسم (٩)

– التشبيه ، فالمراد أن هواه مشبه لهوى بني عذرة .

وقيل : الهوى العذري هو الحب الذي من شانه أن يقبل عذر صاحبه عند كل شخص لكونه مفرطاً ، وقوله معذرة أي اعتذر معذرة أو أقدم معذرة ، فهو بالنصب على أنه مفعول لفعل محذوف ، ويصح قراءته بالرفع على أنه مبتدأ خبره قوله (مني إليك) أي صادرة مني إليك ، أو على أنه خبر مبتدؤه محذوف ، والتقدير هذه معذرة ، وتكون الإشارة راجعة لقوله سابقاً : سرى طيف ، إلخ فالمعذرة على هذا خصوص ذلك بخلاف ما قبله ، فإنه يحتمل أن تكون هي ذلك ، وأن تكون قوله الآتي : "لا سرى بمستتر عن الوشاة ولا دائي بمنحسم" وأن تكون معذرة معروفة في الخارج وهي أن يقول المحب للعاذل إني محب ، والمحب لا يلام سيما من كان حبه عذريا وقوله "ولو أنصفت لم تلم" أي لأن الحب ليس اختياريا حتى يلام عليه ، بل هو قهري ولا يلام إلا على الأمر الاختياري كقول القائل :

وعيب الفتى فيما أتى باختياره ولا عيب فيما كان خلقاً مركباً

لكن كون الحب ليس اختيارياً بل هو قهري بعد تحكمه ، وإلا فمبدؤه اختياري ، أو لأنه اللوم على الهوى لا يكون إلا ممن ذاقه ، والمخاطب لم يذقه ، ولذلك قال بعض الصوفية : لا ينبغي للشخص أن يتكلم على حال إلا إذا ذاقها وإلى هذا المعنى أشار ابن الفارض بقوله :

دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى فإذا عشقت فبعد ذلك عنِّف

(٩) (قوله عدتك حالي ، إلخ) لما أبدى له المعذرة في الهوى ووبخه في اللوم عليه فيه ، فلم يرجع عن اللوم ، استعطفه بالدعاء له ، فقال : عدتك حالي ، إلخ أي جاوزتك حالي ، كما يقول الشخص لغيره : لا أراك الله حالي ، وعلى هذا فالجملة دعائية ويحتمل أنها استفهامية بتقدير همزه الاستفهام ، وعليه فالمعنى : أجاوزتك حالي فلم تعذر ؟ ويحتمل أيضاً أنها خبرية ، وعليه فالمراد الإخبار أنه جاوزته حاله ولم يصب مصيبته حتى يعلم قدر ما هو فيه ، ولا يلومه ، ولو أصيب لعلم قدر ما هو فيه ولم يلمه ، هذا كله إذا فسرعدتك بمعنى جاوزتك كما تقرر ، فإن فسر بمعنى تعدت إليك أي وصلت إليك ، كما قال بعض الشارحين ، كان القصد الدعاء عليه لا له ، أو الاستفهام عن ذلك بتقدير همزة الاستفهام ، والمعنى عليه : أوصلت إليك حالي حتى تلومني ؟

وقوله (لا سرى بمستتر عن الوشاة) مستانف استئنافاً بيانياً لأنه واقع في جواب سؤال مقدر ، فكأن اللائم قال له : وما حالك التي استعظمتها ؟ فأجابه بذلك .

والسر ما يكتمه الشخص عن غيره ، والوشاة جمع واش وهو الذي يشي الحديث بين المحب والمحبوب أي يزينه ويزخرفه لأجل الفساد بينهما ، ومن المعلوم أن الوشاة أعداؤه فاطلاعهم على سره يسيئه ، وقوله : ولا دائي بمنحسم ، أي لا دائي الحاصل بسبب الحب بمنقطع بوصل المحبوب ومؤانسته ، كما هو شأن المحب ، فإنه إذا اشتد عليه الحال ، وواصله المحبوب وأنسه انقطع داؤه ، لكن هذا أمر أغلبي ، وإلا فهناك من يزيد عليه الحال بوصل المحبوب ومؤانسته .

الدعوة الإسلامية في الغرب

بقلم :الدكتور سلمان الظفيري
باحث وإداعي في الدوحة (دولة قطر)

"الإسلام ينتشر بصورة عفوية وهذه ميزته على طول تاريخه" .

هكذا قال الدكتور مراد هو فمان الدبلوماسي الألماني المسلم .

ففي بريطانيا أسلم في العام الماضي ٢٠١٢م – ٦٠٠٠ (ستة آلاف) ما بين رجل وامرأة ، وفي ألمانيا زاد العدد على ١٠٠٠٠ (عشرة آلاف شخص) دخلوا في الإسلام ، وفي فرنسا يُسلم كل يوم ١٧ شخصاً من الذكور والإناث .

وقد بلغ عدد المسلمين الجدد في إسبانيا ـ كما يقول الدكتور بهيج الملا حويش الداعية الإسلامي في إسبانيا – مائة ألف من الرجال والنساء، وبلغ عدد المسلمين الجدد في إيطاليا في إحصائية جديدة أكثر من مائة ألف وفي اليابان بلغ عدد المسلمين الجدد مائة ألف، كما يقول المركز الإسلامي في طوكيو .

أما أمريكا فيقول الدكتور بلال فليس – الداعية الإسلامي الكندي – إن المسلمين الجدد بلغوا مليوناً من الرجال والنساء .

فهذه بشريات تفرح قلب المسلم وتزيد ثقته بأن نصر الله تعالى قادم ، وأمر آخر في الدعوة الإسلامية في الغرب هو كثرة المشاهير الذين تشرفوا بدين الإسلام من نجوم الكرة ونجوم الغناء والموسيقى إلى الأكاديميين والسياسين وعلماء الاجتماع والأطباء .

أما النساء فمن يجهل السيدة الصحفية ايفون ردلي التي صارت تكتب عن الحجاب في الصحف العالمية الكبرى، والسيدة رقية مقصود – وهذا اسمها بعد إسلامها – التربوية البريطانية وصاحبة البحث الأكاديمي الإسلام في بريطانيا – والسيدة الألمانية الإعلامية الشهيرة كريستيان باكر، وهي تعد من دبي مشروعاً إسلامياً لخدمة الدعوة الإسلامية ، ومثل ذلك نتذكر بدعاء الفاضلة الأمريكية مريم جميلة صاحبة المؤلفات الكثيرة وقد ماتت في السنة الماضية .

فهؤلاء السيدات الغربيات المسلمات وظفن الشهرة في الدعوة الإسلامية ، ونعم ما فعلن .

وهناك حقل آخر وهو تخرج العديد من فضلاء الشباب في بريطانيا

وفرنسا وألمانيا من الجامعات الإسلامية وصاروا دعاة في الغرب بل صارت المنابر في فرنسا وبرلين ولندن يعلوها ويرتقيها هؤلاء الشباب ، يدعون قومهم بلسان قومهم ، أصبح في فرنسا وحدها أكثر من ثلاثين إماماً وخطيباً فرنسيين من أب وأم وعم وخال وهكذا مساجد برلين ولندن وغيرها من المدن ، وصارت نوادي ويلز الإسلامية للأخوات البريطانيات حديثها : الإسلام والدعوة والدين والفضيلة في الحجاب .

وقد برز في أمريكا دعاة كبار ومن مشاهيرهم في تكساس الدكتوريوسف استيس وهو يجوب أمريكا ويطوف مدنها للدعوة الإسلامية وكم أسلم على يديه من الرجال والنساء .

إن الدعوة الإسلامية في الغرب نجاحها كان عفوياً إذ لم تعتمد على أدوات حديثة في الدعوة أو آليات معاصرة في الجذب والدعاية وإنما هي جهود فردية أو شعبية بارك فيها الرب الكريم سبحانه ، فظهرت يقظة الشباب وصحوة الدارسين في الغرب فقاموا بجهود طيبة في فتح المراكز الإسلامية الدعوية والمساجد وسارت المجلات الإسلامية ومواقع النت (NET) بين الناس والبيوت ، فكانت ولله الحمد الثمار يانعة والنتائج رابحة والمكاسب عالية .

ودين الله تعالى تكفل بحفظه سبحانه وتعهد بحمايته من التحريف والتبديل ، وتلك معالم تهز الغربي الباحث والغربي الداجن .

والأيام القادمة مليئة بالمفاجئات المفرحة في تقدم الإسلام في الغرب وإقبال الغربيين عليه ، والسبب جماليات ديننا ، وقد صرح هؤلاء الاخوة والأخوات بها فقد اختصروها :

بالاستقرار النفسي ، والحياة الأسرية ، والراحة النفسية ، وقبل ذلك هي الصلة بين العبد وربه .

ملحوظة : هذا ، وقد زار الدكتور سلمان الظفيري والشيخ عز الدين من دولة قطر ندوة العلماء ، بلكناؤ في شعبان ١٤٣٤هـ ، والتقيا مشايخها ، ولا سيما سماحة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي وفضيلة الدكتور سعيد الأعظمي الندوي وفضيلة الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي والشيخ سلمان الحسيني الندوي ، وأجريا حوارات حول موضوعات متعددة ، وستنشر هذه الحوارات عبر إذاعة قطر الإسلامية ، وقد تفضل الدكتور سلمان الظفيري بإلقاء محاضرة حول : الدعوة الإسلامية في الغرب ، في ندوة العلماء ، استمع إليها الحضور بشوق ورغبة .

مشروع (الاتحاد الخليجي)

بقلم : معالي الدكتور راشد عبد الله أحمد الفرحان ، حفظه الله،
(دولة الكويت)

أود قبل أن أدخل في الموضوع أن أحيي خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز على طرحه ومبادرته في مجلس التعاون الخليجي للدارسة والتداول مشروع اتحاد دول مجلس التعاون الخليجي ، وأشد على يد حضرة صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الصباح مؤيداً ومباركاً الذي بادر بدعم الفكرة وأيدها على الفور ، وإنه لشيء مفرح أن يحصل ذلك التجاوب السريع للموضوع من شعب الجزيرة العربية ، وخاصة أهل الكويت الذين عرفت فيهم الأصالة العربية ، والالتحام بشعب الجزيرة العربية الخليجية والمبادرات العديدة لقضايا الأمة العربية ، ووحدة الأمة ، ووحدة الخليج ما هي إلا جزء من وحدة الأمة العربية المنشودة ، وتجسيد للقومية العربية الأمة العربية المنشودة ، وتجسيد للقومية العربية الأصلية التي تسري في نفوسهم رغم ما اعتراها من فتور بسبب الدعوات الضيقة ، والنزاعات الفردية .

وقبل أن نبين مزايا وفوائد الوحدة نسوق بعض الأدلة على هذه الوحدة من واقعنا ودستورنا وكتاب ربنا ، وسنة نبينا محمد ﷺ

الأدلة على الوحدة وتداعياتها :

سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح طيب الله ثراه حينما عرض عليه الدستور بنص المادة الأولى (شعب الكويت جزء من الأمة العربية) شكر لجنة الدستور على هذا النص ، ولم يتردد فأيده في الحال ووافق عليه .

وسمو الشيخ جابر الأحمد الصباح رحمه الله الذي عاصرته في مجلس الوزراء كان يقرأ الخطابات الأميرية في مجلس الأمة لا يخلو خطاب منها دون الإشارة للوحدة والإشادة بالأمة العربية ، وكثيراً ما كان يرنو إلى الوحدة الخليجية عند ما يثار النقاش حولها

إن هذا التناغم في هذا الموضوع بين شعب الكويت وحكامه وأعضاء المجلس والمثقفين لهو صدى عن التعبير الشعبي في الحس القومي المشترك الذي قاد الكويت في محنتها الكبرى إبان الغزو العراقي الغاشم ،

ما جعل الشعوب العربية بل العالمية تقف إلى جانبنا وتتبنى قضيتنا ، وذلك ما نرجوه لدول مجلس التعاون أن تكون عليه ، لأننا مررنا بتجربة مريرة ، لا نود أن يمر بها بلد عربي عزيز علينا ، وهذي هي البحرين تعاني اليوم من الفتن ما تعاني .

أما القرآن الكريم ما لا يسع هذا المقال ذكر العديد من الآيات والذكر الحكيم التي تحث على الوحدة وتنهى عن الفرقة يقول الله عز وجل ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ويقول الرسول ﷺ (إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية) وما انتصر المسلمون إلا بفضل الله ثم بالوحدة ، وما ذلوا إلا بالفرقة ، إذاً لا يسع المسلم إلا أن يوافق ولا يعارض .

شعب الكويت عربي خليجي :

يذكر المؤرخون أن حكام الكويت ومن معهم من العائلات الكويتية قدموا من الجزيرة العربية ؛ مثلهم مثل أهل البحرين وقطر والإمارات وعمان وحكامهم ، فهم حسب نص الدستور جزء من الكل ، شعب من ذلك الشعب ، والوحدة طبيعية ، وأرض الكويت جزء لا يتجزأ من الجزيرة العربية ، وما دامت الوحدة تجمع للأجزاء ، والكويت جزء من الأجزاء ، وشعبها عربي حسب دستورها ، والذي يعارض يعتبر في حكم الأقليات الذين تصان حقوقهم ، وتحترم معتقداتم ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

وحدة – اتحاد – كنفدرالية :

كل ذلك أنواع من الوحدة والتعاون ترقى بمجلس التعاون من دويلات ضعيفة ، مختلفة إلى قوة موحدة ذات ثقل دولي أكبر ، ضاغط تزداد أهميته ، خصوصاً على الساحة العربية والدولية والإقليمية التي تهدد المنطقة ، وإذا لم تمكن الوحدة الاندماجية ، فلنلجأ إلى الاتحاد الفدرالي الذي نحبذه لأنه أجدى وأنفع ، ولكني أرى معظم الكتاب والسياسيين والبرلمانيين يرون البدء بالكنفدرالية وفق نظام يحافظ على خصوصية كل دولة ، ونظامها السياسي ، وبنيتها القانونية ، وهو ما يطرح للدراسة الآن ، وإذا اختلفت دول المجلس مبدئياً فبالإمكان البدء بالاتحاد بين دولتين أو أكثر ، وحسب علمي فإن الدولة المتريثة هي سلطنة عمان ، فبالإمكان الشروع في الاتحاد بأي عدد ، وترك المجال مفتوحاً لمن يريد المزيد من الدراسة والتأني للمستقبل كما فعل الاتحاد الأوربي وغيره من الاتحادات .

لا نريد أن نتدخل في كيفية ما يكون عليه نظام اتحاد المستقبل فذلك من اختصاص أصحاب الشأن ، ولكنا نريد الإسراع في انجاز المشروع ،

لأن الوقت يمضي والحاجة ملحة .

دعونا ننظر إلى العالم من حولنا ، كيف هو قائم على التحالف والتجمع والاتحاد ، وهذه دول أوربا اتحدت في ٢٧ دولة لا يجمعها ما يجمعها من التاريخ مشترك وروابط عائلية ودين ولغة وعلاقات اجتماعية ، اتحدت في البداية ثلاث دول بهدف رعاية مصالحها رغم ما بينها من الاختلاف ، اتحدت وعززت قوتها ومتانة اقتصادها ، آمل أن تواتينا الظروف إن شاء الله لندخل في اتحاد متكامل فهو أقوى وأنجح ، ولكن مالا يدرك كله ، لا يترك جله ، والمستقبل آت إن شاء الله تعالى .

فوائد الاتحاد :

قال الكاتب السياسي د. عبد الله النفيسي "الكنفدرالية ستحقق فوائد عظيمة للشعوب والحكومات الخليجية ، كما ستردع أي تهديد لها" .

ويرى الكاتب نوري أحمد الحساوي أن "المهم كيفية استثمار هذه القوة المتميزة بحجم وقوة وثقل مجلس التعاون ككيان سيضم في حال إعلانه أكثر من ٤٠ مليون نسمة بناتج إجمالي سنوي ما يقارب ٩٥٥ مليار دولار ، وسكتون له قدرة التحكم في ٤٠٪ .

من صادرات النفط العالمية ، والمنتج العالمي من الغاز الطبيعي ، الذي هو شريان الحياة وعصب الصناعة في الشرق والغرب .

ورغم ما في الاتحاد من فوائد جمة كثيرة سياسية واقتصادية واجتماعية ، وتوحيد العملة والجوازات وتقريب المسافات ، وتقليص المصروفات ، وتحرك التجارة ويزداد رواج الأسواق كسوق واحدة مشتركة ، وتنوع البضائع وتكامل المصانع إلى غير ذلك من المزايا العلمية والثقافية ، فإن أمام دول مجلس التعاون تحديات ومخاطر جمة ، فيما تواجهه دولة من ما يحاك لها من مؤامرات في الظلام لزرع الفتنة والفوضى سواء من دول الجوار أو غيرها ، الأمر الذي يحتم على دول المجلس الخروج بالصيغة التي تلبي مطالب شعوب المنطقة .

فيا حكام الخليج هذه فرصتكم وهذا هو يومكم فبادروا ، ولا تتردوا إلى وحدتكم قبل أن يطمع فيكم الطامعون فتزول دولكم الواحدة بعد الأخرى لقمة سائغة ، ونقول حينئذ (أكلنا يوم أكل الثور الأبيض) ، فسيروا على بركة الله وعجلوا خطاكم والله ينصركم ويرعاكم .

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن تكسرت آحادا

❖❖❖❖

الفقه الإسلامي :

القروض في الإسلام

(الحلقة الأولى)

بقلم : الأستاذ اشرف شعبان ابو احمد
(جمهورية مصر العربية)

من أكبر العراقيل التي تعوق التنمية في الدول النامية ودول العالم الثالث وغيرهم من الدول ، هي الديون حيث إنها تستهلك جزءاً كبيراً من الناتج أو الدخل القومي ، كان يجب أن يذهب إلى مشاريع إنتاجية أو خدمات تعين الفرد على الحياة وتيسر له سبلها ، وهذه الديون تبلغ من الضخامة ما يمنع أو يكاد يوقف أي حركة تنمية ، فنجد أن الدين العام الخارجي للأقطار العربية بلغ ٥٥ مليار دولار عام ١٩٨٢م ثم قفز إلى ٨٠ مليار دولار عام ١٩٨٦م حسب التقرير الاقتصادي الموحد ، في حين تقدر مصادر أخرى حجم الديون العربية عام ١٩٨٧م بنحو ١٠٢ مليار دولار ، بينما قدرها الأمين العام المساعد للجامعة العربية بنحو ١٥٦ مليار دولار في نهاية عام ١٩٨٧م (١) توزع بين الدول كالآتي مصر ٣٣ مليار دولار ، الجزائر ٢٣ مليار دولار ، المغرب ٢١ مليار دولار ، العراق ٢٠ مليار دولار ، السودان ١١ مليار دولار ، الأردن ٨ مليار دولار ، تونس ٨ مليار دولار ، سوريا ٥ مليار دولار ، عمان ٣ مليار دولار ، ليبيا ٣ مليار دولار ، اليمن الديمقراطي ٢ مليار دولار ، يصير المجموع ١٣٥ مليار دولار ، مع إضافة فوائد هذه الديون ، فإن الرقم يصل إلى أكثر من ١٥٠ مليار دولار (٢) وكلما ازداد الدين زادت فوائده وزادت أعباء خدمته ، فطبقاً للتقرير الصادر عن صندوق النقد الدولي في أكتوبر عام ١٩٩٠م ما زالت أعباء خدمة الديون في تصاعد مستمر فقد قدرت بـ ١٦٧،٦ مليار دولار عام ١٩٩٠م لدول العالم الثالث ، بينما ٩،١٣٥ مليار دولار عام ١٩٨٢م وهذه الأعباء التهمت نسبة ٩،١٥٪ من قيمة صادرات

(١) مجلة الشاهد السنة/٦ العدد/٦٣ نوفمبر عام ١٩٩٠م .

(٢) مجلة المجلة العدد/٥٣٦/٢٧ شوال عام ١٤١٠هـ الموافق ٢٢ مايو عام ١٩٩٠م .

السلع والخدمات الخاصة بهذه الدول (٣) .

وقد ارتفعت نسبة القروض المستخدمة في خدمة القروض القديمة إلى ٧٠٪ من القروض الجديدة عام ١٩٨٥م (٤) ولا زالت القارة الأفريقية أكثر المناطق معاناة من عبء المديونية الخارجية حيث بلغ حجم ديونها ٢٣٣،٣ مليار دولار خاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن ديون الدول الآسيوية لا تتجاوز ٦٧ مليار دولار والدول الأوربية ١٤٦،٩ مليار دولار لعام ١٩٩٠م (٥) وترجع الزيادة المتضاعفة في حجم المديونية الأفريقية إلى زيادة أسعار الفائدة إذ قدرت اللجنة الاقتصادية الأفريقية أن حوالي ثلث حجم الديون الأفريقية يعزي لزيادة أسعار الفائدة القروض سواء الجديدة منها أو إعادة الديون المتراكمة ، أي أن من ٧٠ إلى ٨٠ مليون دولار من الديون الأفريقية ليست نتيجة الاقتراض الإضافي ، وإنما ترجع إلى ارتفاع أسعار الفائدة في الدول الصناعية المتقدمة وخاصة الولايات المتحدة (٦) وتتحمل الدول الأفريقية عبءً ثقيلاً في سداد أعباء خدمة ديونها التي تتجاوز ٤٠٪ من قيمة صادراتها (٧) أي أن معظم الدخل القومي تلتهمه سداد الديون القديمة ، ويكاد الباقي يكفي حاجات الشعب مع بعض القروض الجديدة ، أما أي تنمية وتطور يستلزمه مسيرة الحياة ومواكبة العصر وإشباع حاجات إضافية للشعب يكاد يكون منعدماً ، وهذا سبب ما تعانيه هذه الدول من تخلف وفقر وجوع وعجز في الخدمات بأنواعها ، والديون ليست كلها شراً ، وإنما تلك المصاحبة بفائدة أو بما يسمى في الإسلام بالربا ؛ والربا في اللغة بمعنى الزيادة ، والمقصود به الزيادة في رأس المال قلت أو كثرت ، وهو محرم في جميع الأديان السماوية ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٣٠)

(٣) مجلة الأهرام الاقتصادي العدد/١١٤٦/٣١ ديسمبر عام ١٩٩٠م .

(٤) مجلة الشاهد السنة/٦ العدد/٦٤ ديسمبر عام ١٩٩٠م .

(٥) مجلة الأهرام الاقتصادي العدد/١١٤٦/٣١ ديسمبر عام ١٩٩٠م .

(٦) الأهرام الاقتصادي العدد/١١١٥/٢٨ مايو عام ١٩٩٠م .

(٧) جريدة الحياة العدد/١٠٠٣٧ الثلاثاء ٢٤ يوليو ١٩٩٠م ، ٢ محرم عام ١٤١١هـ .

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة الآيتان/٢٧٨ – ٢٧٩) وقال تعالى ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (سورة البقرة الآية/٢٧٥) وقال تعالى ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٧٦) وهو من كبائر الإثم .

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : (اجتنبوا السبع الموبقات) قالوا : وما هن يا رسول الله ؟ قال : (الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) ، وقد لعن الله كل من اشترك في عقد الربا فلعن الدائن الذي يأخذه والمستدين الذي يعطيه والكاتب الذي يكتبه والشاهدين عليه ، روى البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي ، وصححه عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله ﷺ قال : (لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه) روى الدار قطني عن عبد الله بن حنظلة أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : (الدرهم ربا أشد عند الله تعالى من ست وثلاثين زنية في الخطيئة) وقال عليه الصلاة والسلام : (الربا تسعة وتسعون باباً ، أدناها كأن يأتي الرجل بأمه) (٨) عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : (إذا ظهر الربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله) وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : (ما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسنة ، وما من قوم يظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالرعب) وعن أبي حميد الساعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس منه) قال ذلك لشدة ما حرم الله من مال المسلم ، رواه ابن حبان في صحيحه (٩) وقد نادى الله تبارك وتعالى المؤمنين وأمرهم بتقوى الله وأمرهم بترك الربا وحذرهم بالحرب إن لم يفعلوا ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ

(٨) فقه السنة السيد سابق ج/٣ ص/١٣٠ – ١٤٣ .

(٩) مختصر الترغيب والترهيب لابن حجر العسقلاني ص/١٦٣٠ .

مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (سورة البقرة الآيتان/٢٧٨ – ٢٧٩) قال قتادة : أوعد الله أهل الربا بالقتل فجعلهم بهرجا أينما ثقفوا ، ولو أن أهل البلد اصطلحوا على الربا استحلالاً كانوا مرتدين ، وإن لم يكن ذلك منهم استحلالاً جازما ، فللإمام محاربتهم (١٠) فما من شك فيه أن الذين يحلون ما حرم الله ينطبق عليهم وصف الكفر والإثم ولو قالوا بألسنتهم لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فالإسلام ليس كلمة باللسان ، إنما هو نظام حياة ومنهج عمل وإنكار جزء منه كإنكار الكل ، وليس في حرمة الربا شبهة وليس في اعتباره حلالاً ، وإقامة الحياة على أساسه الكفر والإثم ، والعياذ بالله ، ويا للهول !!! حرب من الله ورسوله حرب تواجهها النفس البشرية حرب رهيبة معروفة المصير مقررة العاقبة ، فأين الإنسان الضعيف الفاني من تلك القوة الجبارة الساخنة الماحقة ؟! ولقد أمر رسول الله ﷺ ، عامله على مكة بعد نزول هذه الآيات التي نزلت متأخرة أن يحارب آل المغيرة ، هناك إذا لم يكفوا عن التعامل الربوي ، ولقد أمر عليه الصلاة والسلام في خطبته يوم فتح مكة بوضع كل ربا في الجاهلية ، وأوله ربا عمه العباس عن كاهل المدينين الذين ظلوا يحملونه إلى ما بعد الإسلام بفترة طويلة حتى نضج المجتمع واستقرت قواعده ، وقال عليه الصلاة والسلام في هذه الخطبة : (وكل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي وأول ربا أضع ربا العباس) ولم يأمرهم برد الزيادات التي سبق لهم أخذها في حال الجاهلية ، والإمام مكلف حين يقوم المجتمع الإسلامي أن يحارب الذين يصرون على قاعدة النظام الربوي ولو أعلنوا أنهم مسلمون ، على أن الإيذان بالحرب من الله ورسوله أعم من القتال بالسيف والمدفع من الإمام ، فهذه الحرب معلنة كما قال أصدق القائلين على كل مجتمع يجعل الربا قاعدة نظامه الاقتصادي والاجتماعي ، هذه الحرب معلنة في صورتها الشاملة ، وهي حرب على الأعصاب والقلوب وحرب على البركة والرخاء وحرب على السعادة والطمأنينة ، حرب يسلط الله فيها بعض العصاة لنظامه ومنهجه على بعض ، حرب الغبن والظلم ، حرب القلق والخوف ، وأخيراً حرب السلاح بين الأمم والجيوش ، الحرب الساحقة لماحقة التي تقوم وتنشأ

(١٠) تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب والسنة لأنور الجندي ص/٣٨٢ – ٣٩٥ .

من جراء النظام الربوي ، فالمرابون أصحاب رؤوس الأموال العالمية هم الذين يوقدون هذه الحروب مباشرة أو عن طريق غير مباشر ، وهم يلقون شباكهم فتقع فيها الشركات والمصانع ثم تقع فيها الشعوب والحكومات ثم يتزاحمون على الفرائس فتقوم الحرب ، أو يزحفون وراء أموالهم بقوة حكوماتهم وجيوشها فتقوم الحرب أو يثقل عبء الضرائب والتكاليف بسداد فوائد ديونهم ، فيعم الفقر والسخط بين الكادحين فيفتحون قلوبهم للدعوات الهدامة ، فتقوم الحرب ، وأيسر ما يقع إن لم يقع هذا كله هو خراب النفوس وانهيار الأخلاق وانطلاق سعار الشهوات وتحطم الكيان البشري من أساسه وتدميره بما لا تبلغه أفظع الحروب الذرية ، إنها الحرب التي أعلنها الله عز وجل على المتعاملين بالربا وهي تأكل الأخضر واليابس في حياة البشرية الضالة الغافلة الظانة أنها تكسب وتتقدم كلما رأت تلال الإنتاج المادي الذي تخرجه المصانع ، وكانت هذه التلال كفيلة بأن تسعد البشرية لو أنها نشأت من منبت زكي طاهر ، ولكنها تخرج من منبت غير زكي وغير طاهر فأدت بالبشرية إلى ما هي عليه (١١) .

وللربا أخطار أخرى ملحوظة في حياتنا اليومية ، منها أنه فضلاً على أنه يسبب العداوة بين الأفراد ويقضي على روح التعاون بينهم ، فإنه يؤدي إلى خلق طبقة مترفة لا تعمل شيئاً كما يؤدي إلى تضخم الأموال في أيديها دون جهد مبذول فتكون كالنباتات الطفيلية تنمو على حساب غيرها (١٢) فما يشيع الربا في جماعة وتبقى فيها مودة وتعارف ، والذي يمنحني الدينار ليسترده مني دينارين هو عدوي ، فما أطيب له نفساً وما أحمل له ودا ، والتعاون أصل من أصول المجتمع يهدمه الربا ، ويوهن أساسه ، لذلك يكرهه الإسلام ، كما أن الربا وسيلة لتضخيم رؤوس الأموال تضخيماً شديداً ، لا يقوم على الجهد ولا ينشأ من العمل ، مما يجعل طائفة من القاعدين يعتمدون على هذه الوسيلة وحدها في تنمية أموالهم وتضخيمها ، فيشيع بينهم الترهل والبطالة والترف على حساب الكادحين الذين يحتاجون

(١١) تفسير آيات الربا ، سيد قطب ص/١٧ – ٦٤ .

(١٢) فقه السنة ، السيد سابق ج/٣ ص/١٣٠ – ١٤٣ .

إلى المال فيأخذونه بالربا في ساعة العسرة ، وينشأ من ذلك مرضان اجتماعيان خطران هما تضخم الثروات إلى غير حد ، وتفريق الطبقات علواً وسفلاً بغير قيد ، ثم وجود طبقة متعطلة مترهلة مترفة لا تعمل شيئاً وتحصل على كل شيء ، وكأنما المال في يديها فخاخ لصيد المال ، دون أن تتكلف حتى الطعم لهذه الفخاخ ، إنما يقع المحتاجون عفواً ويساقون إليها بأقدامهم تدفعهم الضرورات ، فالربا ينشيء نظاماً يسحق البشرية سحقاً ويشقيها في حياتها أفراداً وجماعات ، دولا وشعوباً ، لمصلحة حفنة من المرابين ، ويحطها أخلاقياً ونفسياً وعصبياً ، ويحدث الخلل في دورة المال ونمو الاقتصاد البشري نموا سوياً ، كما انتهى العصر الحديث إلى تركيز السلطة الحقيقية والنفوذ العملي على البشرية كلها في أيدي زمرة من أحط خلق الله وأشدهم شراً ، شرذمة ممن لا يرعون في البشرية إلا ولا ذمة ، ولا يراقبون فيها عهداً ولا حرمة ، فهؤلاء الذين يداينون الناس أفراداً كما يداينون الحكومات والشعوب في داخل بلادهم وفي خارجها وترجع إليهم الحصيلة الحقيقية لجهد البشرية كلها وكد الآدميين وعرقهم ودمائهم في صورة فوائد ربوية لم يبذلوا هم جهداً فيها ، وهم لا يملكون المال وحده إنما يملكون النفوذ ، ويستخدمون هذا النفوذ الهائل الذي يملكونه في إنشاء الأوضاع والأفكار والمشروعات التي تمكنهم من زيادة الاستغلال ، وقيام النظام الاقتصادي على الأساس الربوي يجعل العلاقة بين أصحاب الأموال ، وبين العاملين في التجارة والصناعة ، علاقة مقامرة ومشاكسة مستمرة ، فإن المرابي يجتهد في الحصول على أكبر فائدة ، ومن ثم يمسك المال حتى يزيد اضطرار التجارة والصناعة إليه ، فيرتفع سعر الفائدة ويظل يرتفع السعر ، حتى يجد العاملون في التجارة والصناعة أنه لا فائدة لهم من استخدام هذا المال لأنه لا يدر عليهم ما يوفون به الفائدة ، ويفضل لهم منه شيء ، عندئذ ينكمش حجم المال المستخدم في هذه المجالات التي تشتغل فيها الملايين وتضيق المصانع دائرة إنتاجها ويتعطل العمال ، فتقل القدرة على الشراء ، وعند ما يصل الأمر هذا الحد ، ويجد المرابون أن الطلب على المال قد نقص أو توقف ، يعودون إلى خفض سعر الفائدة اضطراراً ، فيقبل عليه العاملون في الصناعة والتجارة من جديد ، وتعود دورة الحياة إلى الرخاء ،

وهكذا دواليك تقع الأزمات الاقتصادية الدورية العالمية ، ويظل البشر هكذا يدورون فيها كالساعة ، ثم إن جميع المستهلكين يؤدون ضريبة غير مباشرة للمرابين ، فإن أصحاب الصناعات والتجار لا يدفعون فائدة الأموال التي يقترضونها بالربا إلا من جيوب المستهلكين ، فهم يزيدونها في أثمان السلع الاستهلاكية فيتوزع عبؤها على أهل الأرض ، لتدخل في جيوب المرابين في النهاية ، أما الديون التي تقترضها الحكومات من بيوت المال لتقوم بالإصلاحات والمشروعات العمرانية ، فإن رعاياها هم الذين يؤدون فائدتها للبيوت الربوية ، كذلك فإن هذه الحكومات قد تضطر إلى زيادة الضرائب المختلفة ، لتسدد منها هذه الديون وفوائدها ، وبذلك يشترك كل فرد في دفع هذه الجزية للمرابين في نهاية المطاف ، وقلما ينتهي الأمر عند هذا الحد ، ولا يكون الاستعمار هو نهاية الديون ثم تكون الحروب بسبب الاستعمار (١٣) .

والتعامل بالربا ليس بضرورة ملحة لأمة تريد التحرر الاقتصادي ، فإذا لم تقلع الأمة عن نظام الربا فلا تحرير يرجى لها ، وستظل رازحة تحت نير الاستعمار الاقتصادي الأجنبي ، والاقتراض بفائدة هو الربا بعينه وهو حرام ، أما ما يحتج به البعض بأن الضرورات تبيح المحظورات فليست قاعدة مطلقة ، ولكن الضرورة تكون في حالة الهلاك كأن يكون مسلم في بيداء وقد نفد زاده حتى أصبح على وشك الهلاك وقد رفض الناس إقراضه إلا بالربا فله أن يقترض ما يخرجه من الهلاك (١٤) كما أن الربا يشكل قوة دافعة لتوجيه رأس المال المستدان بالربا ، لكي يربح ربحا سريعا ومضموناً ، فيؤدي الفائدة الربوية ، ويفضل منه شيء للمستدين ، إلى المشاريع التي لا تفيد الاقتصاد بل تضره ، ولا تمتص الطاقة العاملة بل تزيدها عبأ ، كما تذهب إلى الأفلام القذرة والصحافة القذرة والمراقص والملاهي والرقيق والأبيض وسائر الحرف والاتجاهات التي تحطم أخلاق البشرية ، فالمال المستدان بالربا ليس همه أن ينشئ أنفع المشروعات للبشرية ، بل همه أن

(١٣) العدالة الاجتماعية في الإسلام سيد قطب ص/١٣٤ – ١٤٠ .

(١٤) تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب والسنة ، أنور الجندي ص/٣٨٢ – ٣٩٥ .

ينشئ أكثرها ربحاً ولو كان الربح يأتي من استثاره أحط الغرائز وأقذر الميول ، كما على مسلم أن يؤمن أن هناك استحالة في أن يحرم الله أمرا ، لا تقوم الحياة البشرية ولا تتقدم بدونه ، كما أن هناك استحالة في أن يكون هناك أمر خبيث ويكون في الوقت ذاته حتمياً لقيام الحياة وتقدمها (١٥) هذه بعض أضرار الربا ، فضلاً على أن القروض وتراكم الفوائد والمخاطرة قد يمنع صغار المنتجين عن استثمار أموالهم ، فإن الفوائد الربوية تعجز الفرد أو الدولة عن سداد الدين مما يدفعهم إلى الاستدانة مرة أخرى بفوائد جديدة ، وهكذا إلى أن يصل الحال كما هو عليه معظم الدول النامية لا هي تستطيع سداد الدين ولا تستطيع القيام بأي عملية تنموية لصالح شعوبها ، والإسلام يقر الربح وينكر الفائدة ، وذلك لأن الربح قابل للنقص والزيادة وفق الجهد البشري ، أما الفائدة فهي ثابتة حتى ولو يأت الجهد البشري بشيء من الثمرة ، فإذا شاء صاحب المال أن يربح فإما أن يشتغل فيه بنفسه فيربح أو يخسر ، أو أن يشارك بماله صاحب الجهد ثم يتقاسمان الربح والخسارة (١٦) فالإسلام يقر قاعدة "الغرم بالغنم" وهي أن من أراد أن يغنم إذا ربح المال وجب عليه أن يغرم إذا خسر نفس المال المستعمل في التجارة أو غيرها من المشاريع (١٧) وهناك من الأمم في هذا العصر قضت على فكرة الربا والتعامل به ، ومن هذه الأمم أمم غير إسلامية ، لم تنظر بالطبع إلى الموضوع نظرة إسلامية ، ولكنها نظرت إليه من زاوية غير إسلامية ، غير متأثرة بدين بل مدفوعة بالرغبة في القضاء على الاستغلال ، والحيلولة بين الشعب وبين الوقوع في مخالب المرابين والمستغلين ، فتلاقت في النهاية والهدف مع الإسلام وإن كانت لا تعترف به ، فهذه روسيا والدول الشيوعية عامة قد ألغت نظام المصارف فيها ، فلا توجد بنوك تقرض الناس بفائدة ، كما هو الحال عندنا وعند النظام الغربي ، وكذلك ألمانيا والتي بلغت في ظل النازية درجة من القوة أرهبت العالم يوم أن سادها النظام الهتلري والاشتراكية الوطنية ، فعند ما أراد هتلر أن يقيم الوطنية الاشتراكية على دعائم ثابتة

(١٥) تفسير آيات الربا سيد قطب ص/١٧ – ٦٤

(١٦) السلام العالمي والإسلام سيد قطب ص/١٤٨ .

(١٧) تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب والسنة ، أنور الجندي ص/٣٨٢ – ٣٩٥ .

قوية ألغى الربا وأحل محله نظام شركات المضاربة الذي أقره الإسلام ، فجعل محل المصارف شركات صناعية وتجارية يسهم فيها الناس ويدخرون أموالهم فاجتمع له الإنتاج والعمل والادخار وقام نظامه واستقام ولولا الحرب وويلاتها لكان المثال بين أيدينا محسوساً (١٨) .

ورغم ذلك فإن شعوبنا من الذين يتعاملون بالربا ويأكلونه وأن منهم من لم يقره ، روى الإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال (يأتي على الناس زمان يأكلون فيه الربا) قيل : الناس كلهم يا رسول الله ؟ قال عليه الصلاة والسلام : (من لم يأكله ناله غباره) تلك نبوءة النبي ﷺ **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۞ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾** (سورة النجم الآيات/٣ – ٦) وقد تحققت تلك النبوءة في عصرنا الحاضر فالناس يأكلون الربا ومن لم يأكله ناله غباره ، حتى صار الربا بلاء هذا العصر ، وظنه الناس عرفاً حسناً لا تجوز مخالفته ، وحقاً لا تسوغ مقاومته فمرتبات العاملين بأجهزة الدولة المختلفة تسحب من بنوك ربوية ، وأصحاب رؤوس الأموال يقترضون بفوائد من بنوك ربوية ، والمدخرون لفوائد أموالهم يودعونها في بنوك ربوية ، وكل من معه قرش لو تتبع مصدره يجده مر على إحدى المصارف الربوية ، وهكذا من لم يأكل الربا ناله غباره ، ولذلك تغيرت حياتنا وسادها الاضطراب والقلق والوسوسة ، وهو ما يسمونه بمرض العصر ، ولكنه في حقيقة أمره مرض الربا يصيب آكل الربا ، وقد وصف هذا المرض في القرآن الكريم في قوله تعالى **﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ﴾** (سورة البقرة الآية/٢٧٥) (١٩) وكان رسول الله ﷺ ، يستعيذ من الدين ، بقوله وهو يدعو ربه (وأعوذ بك من المأثم والمغرم) والمغرم هو الدين ، وفي حديث آخر (وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) ، وكان عليه الصلاة والسلام يحث ويحض على سداد الدين ، ويجعل عدم السداد سبباً لعدم دخول الجنة ، ويجعله من أعظم الذنوب ، وكان لا يصلي عن من مات وعليه دين لم يترك له قضاء ، قال عليه الصلام والسلام : (والذي نفسي بيده لو قتل رجل في

(١٨) إسلام لا شيوعية د. عبد المنعم النمر ص/٣١٠ .

(١٩) تحريم الربا تنظيم اقتصادي محمد أبو زهرة ص/٧ – ٨ .

سبيل الله ثم عاش ثم قتل وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضي دينه) وعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (إن أعظم الذنوب عند الله أن يلقاه بها عبد بعد الكبائر التي نهى الله عنها أن يموت رجل ، وعليه دين لا يدع له قضاء) وقد صح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل الميت عليه الدين ، فيسأل هل ترك لدينه قضاء ، فإن حدث أنه ترك وفاء ، صلى عليه ، وإلا قال (صلوا على صاحبكم) فلما فتح الله عليه الفتوح قال عليه الصلاة والسلام : (أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه ومن ترك مالا فهو لورثته) (٢٠) وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (مطل الغني ظلم) رواه أبو داود وغيره (٢١) والحديث دليل على تحريم المطل من الغني ، والمراد هنا تأخير ما استحق أداؤه ، بغير عذر ، من قادر على الأداء ، والمعنى أنه يحرم على الغني القادر أن يمطل بالدين بعد استحقاقه ، بخلاف العاجز وأنه يجب وفاء الدين ولو كان مستحقه غنياً ، فلا يكون غناه سبباً لتأخير حقه ، وإذا كان ذلك في حق الغنى ففي حق الفقير أولى ، والمطل كبيرة يفسق صاحبه (٢٢) ولكن هل من كيفية لسداد هذه الديون التي أثقلت كاهل ميزانيات الدول المدنية وجعلتهم بين فكي رحى إما سداد الدين القديم والتضحية بعملية التنمية والتعرض لخطر الأزمات والمجاعة أو القيام بعملية التنمية والاقتراض لسداد الدين بقروض وفوائد جديدة تزيد من أعبائها ؟!!! لا بد بداية من اعتماد سياسة إصلاح اقتصادي شامل ، لمنع الاعتماد على أسواق المال الخارجية للاقتراض ، والعمل على زيادة الإنتاج المحلي ، فأفريقيا وأمريكا اللاتينية التي غرقت لآذانها في الديون لا تزرع من أراضيها ما يزيد على ٢٠٪ من أراضيها الصالحة للزارعة (٢٣) إلى غير ذلك من الطرق .

(يتبع)

(٢٠) مختصر الترغيب والترهيب ابن حجر العسقلاني ص/١٥٧ – ١٥٩ .

(٢١) فقه السنة السيد سابق ج/٣ ص/١٤٩ – ١٥١ .

(٢٢) سبل السلام محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني ج/٣ ص/٦١ .

(٢٣) جريدة النور العدد/٤٣٠ الأربعاء ٦ ذي القعدة عام ١٤١٠هـ – ٣٠ مايو عام ١٩٩٠م .

رجالات التاريخ والأدب :

داروين ... ونظريته

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" الرياض – (المملكة العربية السعودية)

العقل البشري ، يضيع في المتاهات ، إذا لم يستند على قاعدة شرعيّة ، عن الله أو عن رسوله ، وهو قاصر في إدراك ما حوله ، فما بالك بالأمور الغيبية ، فقد خرج داروين ، في فترة من الفترات ، بنظرية النشأ والتطور ، التي هي من "الأنتربيو لوجيا" ، ويريد منها : قسر الأمور ليثبت بأن جميع الكائنات ، وفي مقدمتها الإنسان ، مرّ بفترات متعاقبة ، تطور فيها من حالة إلى حالة ، حتى وصل إلى الخلقة التي هو عليها الآن .. ومعلوم أن داروين ليس مسلماً ، وإنما أراد أن يفرض نظريته حسبما أملى عليه هو عقله القاصر أو من لا يزال مقتنعاً بها مثله .. لأنها نظرية مبنية على الإلحاد ، وإنكار وجود الخالق سبحانه ، حيث يجعلون الإنسان من فصيلة القردة ، ومع هذا فقد جاء كثير من علماء الغرب لإبطال هذه النظرية ، وتسفيه آراء داروين في نظريته تلك التي بناها على أن الإنسان تطور في مراحله : فكان صغير الحجم ويزحف ، ثم يحبو على يديه ثم يسير على أربع كالقرد ، وبدأ يكبر حجمه وقارن ذلك بقرد "الغورلا" ، ومستند تبطيلهم لنظريته ، أنهم أجروا فحوصات ، على بعض الجماجم المتحجرة ، التي يراها دليلاً على نظريته ، فثبت لديهم عدم علاقة جنس بجنس ، وأن الحفريات للعظام والجماجم لم تتغير عن أصل جنسها .

فالإنسان لا رابطة بينه وبين أي نوع من المخلوقات ، لأن الله فضله على كثير من المخلوقات ، لكن بقيت جذور هذه النظرية تبرز بين حين وآخر ، ويبرز من يدافع عنها ، تقليداً أو هوىً في النفوس لضعف الوازع الإيماني .

ولئن قال بعض علماء "الأنتربيولوجيا" : إن الإنسان خلق إنساناً على هيئته ، ولم يتطور كما هي نظريتهم في الزواحف والسحالي ، وما يريدون

تطبيقه على القرد وفصائله .. فإنهم وإن أصابوا ، لم يربطوا ذلك بما جاء عن الله سبحانه .

ثم لئن احتجوا باختلاف أجناس البشر ، وأشباههم وألوانهم ، فهذا يعلل ، وكذا اللغات : بالبيئة من حرارة ورطوبة ، وبرودة ، حيث إن البيئة ، والمناخ والتضاريس ، في أرض الله الواسعة ، تؤثر في الإنسان وسحنته ، حسب التغييرات الجوية ، وهذا لا يسمى نشأ آخر ، لأن الأعضاء في الإنسان ، والتركيبات في جسمه : شكلاً واستقامة ، لم تتغير ، وإنما التغير في الجلد الخارجي ، بحسب كل بيئة ، حيث إن التركيب الجسماني ، لم يتبدل ، وما يصاب به الإنسان من أمراض ، وكيفية علاجها هي الأخرى لم تتغير ، ولم تتبدل ، يقول ـ سبحانه : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ (سورة الروم الآية/٢٢) ولله الحكمة البالغة في هذه الآيات التي تبلغ خمسة عشر موضعاً في هذه السورة ، كلها ذات نفع للإنسان ، ويعجز عن معرفة العلة فيها ، ولكنها عطاء الله ونعمة له يجب الشكر عليها ، والتسليم عن معرفة الكنه والحكمة من وراء ذلك ، لأن الحكم كثيرة تتجدد .

أما خلقة الإنسان الأول ، وهو آدم عليه السلام ، فأصلها بينه الله سبحانه ، في آيات كثيرة من القرآن الكريم ، فكان من الطين : ﴿مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (سورة الحجر الآية/٢٦ ، والآية/٢٨ ، والآية/٣٣) وهذا من المعجزات ، فالله قادر على كل شيء ، وهو الخالق ، يقول للشيء : كن فيكون ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : خلق الإنسان من ثلاث : من طين لازب ، وصلصال وحمأ مسنون ، والحمأ المسنون : الطين الذي فيه الحمأة ، وقال أبو عبيدة : الصلصال هو الطين المخلوط بالرمل ، الذي يتصلصل إذا حرك ، فإذا طبخ بالنار ، فهو الفخار ، وهذا قول أكثر المفسرين ، وقال الكسائي : هو الطين المنتن ، مأخوذ من قول العرب ، صلصل اللحم وأصلّ إذا أنتن ، مطبوخاً كان أو نيئاً .

وهذا الطور : آخر الأطوار الطينية ، وأول ابتدائه أنه كان تراباً ، متفرق الأجزاء ، ثم بلّ ، فصار طيناً ، ثم أنتن واسودّ فصار حمأ مسنوناً ،

أي متغيراً ثم يبس فصار صلصالاً .. وعلى هذه الأطوار والأحوال تتخرج الآيات الواردة في الأطوار الطينية ، كآية خلقه من تراب ، وآية : بشراً من طين ، وهذه الآية التي نحن فيها ، والبشر بعد هذه الأطوار ، جاء كامل الخلقة لا عيب فيه ولا قصور (انظر تفسير القنوجي : فتح البيان ٧ : ١٦٢ – ١٦٣) وتأتي نظرية "داروين" ، التي لا تستند على عقل ولا شرع ، ثم تبناها أناس من العرب ، ليبعثوها ، بعد أن كادت تموت ، بحرص منهم لإدخالها في المناهج الدراسية ، في المرحلة الثانوية ، بما ألفوه في هذه النظرية ، من تأييد ورسوم ، أمثال : سلامة موسى ، وأحمد لطفي السيد ، ليحولوها بزعمهم ، إلى حقيقة ثابتة ، بما وضعوه من شرح لهذه النظرية ، ومن رسوم لبعض الديدان الفقرية ، ليربطوا ما تخيلوه تدرجاً ، كحقيقة ثابتة ، تدرج فيها الإنسان في تكوينه ، وهذا مما يسمى التقاط مفضلات الغرب وأفكارهم .

ومعلوم في العلوم النظرية ، والهندسية : الفرق بين النظرية والحقيقة ، إذ النظرية مبنية على الظن البشري ، وفرضيات ينقض بعضها بعضاً ، وتتبدل بحسب قوة الحجة ، والقدرة على الدفاع ، والحقيقة ذات أصول راسخة ، وقواعد متينة ، والخلق لا يكون إلا لله سبحانه : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ (سورة الفرقان الآية/٢) ويقول سبحانه : ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۞ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (سورة الأعلى الآيتان/٢ – ٣) والطبيعة لا تخلق .

فخلق آدم حقيقة ثابتة لا مراء فيها ، بالكتاب والسنة ، يقول ﷺ : خلق الله الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق الإنسان ، مما وصف لكم" ، يعني بالوصف لما جاء في القرآن الكريم .

وأخبر ﷺ : بأن أهل الجنة ، إذا دخلوها صاروا في أكمل الخلق وأحسنه وأطوله : على خلقة آدم ، وبطوله ، وجماله ، فكيف يريدون ذريته ، ينحدرون في الخلقة ، وهو سبحانه يقول : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (سورة الإسراء الآية/٧٠) .

ولذا فإنه لا تفاوت في خلق الله سبحانه ، ولا يعتريه عيب أو قصور ، حتى يحتاج إلى نظرية داروين ، وأتباعه : بالنشأ والتطور ، لأن ما قدره الله ، وأحكم خلقه وتصويره ، لا مجال للوصف فيه ، بالقصور والعيب ، أو

الحاجة إلى وجود المداخل التحسينية ، تعالى ربنا وتقدس عن ذلك علواً كبيراً .

وإذا نظرنا إلى الآيات الكريمات في كتاب الله الكريم ، وهي كثيرة وتتعلق بتكريم الله لآدم ، وذريته على جميع المخلوقات ، وتحسين خلقه وجماله وقوامه ، فإنها توجب الاعتبار ، والشكر لله على هذا التفضيل ، وتأخذ منها العظة والعبرة ، فهي تصف الإنسان بصفات الجمال والكمال في الخلقة والتكوين ، مبرءاً من النقص والعيوب ، يقول سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۞ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (سورة الانفطار الآيات/٦ – ٨) .

ويقول سبحانه في سورة التين : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (سورة التين الآية/٤) ، وفي سورة الشمس : أقسم الله سبحانه وتعالى بنفس الإنسان ، وتسويتها في مظهر الجمال والكمال ، فقال سبحانه : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (سورة الشمس الآية/٧) فهل نبحث عن خلق غير خلق الله وإنسان يحتاج إلى التعديل والتطوير غير ما حدده الله سبحانه ، ففي سورة التين : جعله الله في أحسن تقويم ، ووزن أحسن : أفعل : يدل على علو المنزلة ، التي أحلها الله للإنسان ، جمالاً وقواماً ، وهذا الوزن يقتضي المفاضلة ، والله سبحانه خلق في البداية ، من كل شيء زوجين : ذكر وأنثى ، حتى يعمر الله بهم الحياة ، ولا تفاوت في خلق الله ، ولا عيوب أو قصور ، حتى يحتاج إلى هذه النظرية التكميلية ، وهل تقف عند حد ، أم تستمر في التغير ، حتى تتغير الأجناس ، ويغيروا بذلك خلق الله ، تعالى عن ذلك وتقدس !!؟؟

من كلمات ابن منبه :

وهب بن منبه تابعي جليل ، أدرك عدداً من الصحابة أسند عن كثير منهم كابن عباس وجابر وغيرهم ، وأخذ عنه من التابعين عدد كبير ، كان له معرفة بكتب الأوائل ، وهو يشبه كعب الأحبار ، وله صلاح وعبادة ، ويروى عنه أقوال حسنة ، وحكم ومواعظ كثيرة ، ومن ذلك ما رواه الطبراني أنه قال : إذا أردت أن تعمل بطاعة الله عز وجل ، فاجتهد في نصحك وعملك لله ، فإن العمل لا يقبل ممن ليس بناصح ، والنصح لله لا

يكمل إلا بطاعة الله ، كمثل الثمرة الطيبة ، ريحها وطعمها ، كذلك مثل طاعة الله ، النصح ريحها ، والعمل طعمها ، ثم زين طاعتك بالحلم والعقل ، والفقه والعمل ، ثم أكبر نفسك عن أخلاق السفهاء ، وعبيد الدنيا ، وعبدها على أخلاق الأنبياء والعلماء العاملين ، وعودها فعل الحكماء ، وامنعها عمل الأشقياء ، وألزمها سير الأتقياء ، وأبعدها عن سبيل الخبثاء ، وما كان لك من فضل فأعن به من دونك ، وما كان فيمن دونك من نقص ، فأعنه عليه حتى يبلغه .

فإن الحكيم من جمع فواضله ، وعاد بها على من دونه ، وينظر في نقائص من دونه ، فيقويها ويرجيها حتى يبلغ إن كان فقيها ، حمل من لا فقه له ، إذا رأى أنه يريد صحابته ومعونته ، وإذا كان له مال أعطى منه ، من لا مال له ، وإذا كان مصلحاً استغفر للمذنب ، ورجا توبته ، وإذا كان محسناً ، أحسن إلى من أساء إليه ، واستوجب بذلك أجره ، ولا يغير بالقول حتى يحسن منه الفعل ، فإذا أحسن الفعل نظر إلى فضل الله وإحسانه إليه ، ولا يتمنى الفعل حتى يفعله ، فإذا بلغ من طاعة الله مبلغاً حمد الله على ما بلغ منها ، ثم طلب ما لم يبلغ منها ، وإذا ذكر خطيئة سترها عن الناس ، واستغفر الله ، الذي هو قادر أن يغفرها .

ولا يستعين بشيء من الكذب فإن الكذب كآكلة في الجسد ، تكاد تأكله ، أو كآكلة في الخشب ، يرى ظهرها حسناً ، وجوفها نخراً ، يفر من يراها ، حتى تنكسر على ما فيها ، وتهلك من اغتر بها .

وروى عبد المنعم بن إدريس ، عن أبيه عن وهب قال : قال لقمان لابنه : إن مثل أهل الذكر والغفلة ، كمثل النور والظلمة ، وقال : قرأت في التوراة أربعة أسطر متوالية : من قرأ كتاب الله فظن أنه لا يغفر له فهو من المستهزئين ، بآيات الله ، ومن شكا مصيبة نزلت به ، فإنما يشكو ربه عز وجل ، ومن أسف على ما فاته من الدنيا سخط قضاء الله عز وجل ، ومن تضعضع لغني ذهب ثلث دينه .

[البداية والنهاية لابن كثير ٩ : ٢٧٦ – ٢٧٧]

❖❖❖❖

عبد الوهاب البياتي

من رواد الشعر العربي الحديث في العراق

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم الدكتور محمد مظهر عالم الندوي
الأستاذ المساعد ، قسم اللغة العربية وآدابها راجوري ، جامو وكشمير

مما لا شك فيه أن أي تحول شعري هو تحول في اللغة ، في جوهره ، والكتابة بلغة جديدة ، وهذا ما أنجزه البياتي في "أباريق مهشمة" قبل سواه من شعراء جيله ، فأول ما يلاحظ على هذه اللغة أنها تحررت بسرعة من جزالة لغة الشعر الموروث ، ومن ميوعة اللغة الرومانسية وتهاويلها ، واعتمدت على معجم صغير من مفردات معينة انتقاها الشاعر من المعجم العادي ، وحملها دلالات سياسية واجتماعية جعلت منها بنيات رمزية محددة ، تسندها إشارات تاريخية وجغرافية ، وأسماء ، وحكم وأمثال ، وأبيات شعرية متداولة ، وشعارات سياسية ، والتقاطات سريعة من الحياة اليومية ، فكانت بكل ذلك لغة جديدة على الذائقة التي تعودت على تلقي لغة الشعر التقليدي ولغة الشعر الرومانسي ، وجديدة على الشعر العربي ، وإننا نعني مفردات مثل : الفجر ، والشمس ، والصباح ، وديك الصباح ، والنهار ، والضياء ، والربيع ، وأخرى مثل : الليل ، والظلام ، والضباب ، والجدار ، والذئاب ، والضباع ، والمسوخ ، والغربان ، والجراد ، والرحيل ، والنفي ، والسجن ، والجوّاب ، والأفاق ، والشحاذ ، والسجان ، والعديد من مثل هذه الكلمات ومن مثل تلك ، مع مشتقاتها وما يتصل بها من نعوت ومن صور ومناخات ، فهذه كلها لم تكن تعني في قصائد البياتي معناها المعجمي فحسب ، بل تحمل في داخلها دلالات سياسية واجتماعية .

تتميز قصائد البياتي (قصيدة : مذكرات رجل مجهول ، مثلاً) بصلابة المشاعر والميل إلى التشكك والسخرية والبعد عن الافتعال والإغراق في العاطفة ، وكل ذلك من سمات الرؤية الواقعية للحياة والكون والأشياء والعلاقات التي هي واحدة من أبرز سمات الشعر الحديث ، ولعل التعامل مع الواقع تعاملاً موضوعياً هو من أبرز سمات هذه الرؤية ومن أهمها ، لأنه هو

الذي يكسبها واقعيتها ، ويميزها عن سواها من الرؤى الشعرية ، وخاصة "الرؤية الرومانسية" ، فهذه الأخيرة تتسم ، عكس الأولى ، بالعاطفية في النظر إلى الحياة والكون والأشياء والعلاقات ، وبالانسياق وراء الأحلام والأوهام والغرق في فيوض الوجدان ، والميل إلى الكآبة والانطواء ، ولذا اتسمت الرؤية الواقعية بمخاطبة العقل واستثارة روح التأمل والتفكير أكثر من استثارة المشاعر الوجدانية ، بينما اتسمت الثانية بتهييج العواطف واستدرار العطف والشفقة ، وتبدأ قصيدة البياتي في "أباريق مهشمة" من نقطة اعتباطية بداية مفاجئة ، من دون مقدمات ، وتنمو بصور من بيئته ، ومن بيئات شتى أحياناً ، تلتقطها عينه من الواقع ، وأخرى تأتيه من الذاكرة ، وأخرى يسعفه بها خياله أو قراءاته ، وأخرى يقتبسها من نصوص غيره ، ويقدمها في شكل من أشكال التداعي الحر ، معززاً إياها بأصوات يسمعها ، صوت إنسان أو مذياع أو خيوان أو نبات أو رياح أو غير هذا وذاك ، وبتداعيات نفسية أو ذهنية أو لفظية ، منولوجات ، حوارات ، مقولات ، أمثال ، حكم ، أبيات الشعر ، أو غيرها ، ويجتمع كل ما يعطينا منه اجتماعيا يبدو متنافراً في ظاهرة ، ولا رابط يربطه سوى واوات العطف أحياناً ، ولكنه في الواقع مزيج من صور وثيمات وموتيفات تتفاعل في ما بينها كما تتفاعل عناصر المركب الكيمياوي ، لتعطينا في النهاية تشكيلاً شعرياً مفتوحاً ينطوي على رسالة سياسية أو اجتماعية غالباً ، وليس تشكيلاً مبنياً بناءاً طولياً متدرجاً ذا نهاية مقفلة يقودنا إليها المنطق حتى نتلقاها ونسترد أنفاسنا ، كما هو الحال عند زميليه السياب والملائكة .

يلاحظ قارئ "أباريق مهشمة" أن البياتي يبني هيكل قصيدته الحرة بحشد من صور جزئية متناثرة تتفاعل دلالاتها لتعطينا في النهاية صورة كلية بهيئة تشكيل شعري مفتوح ، ولكنه ينطوي على رسالة سياسية أو اجتماعية في قصائد الواقعية ، وعلى غيرها في قصائده الرومانسية والوجودية ، فالصورة الجزئية في القصيدة ليست مطلوبة لذاتها ، أو لزخرفة بناء القصيدة بها ، بل لتتفاعل مع غيرها من الصور وتلتقي إيحاءاتها ودلالاتها بإيحاءات ودلالات غيرها لإنشاء هيكل القصيدة وتشكيلها النهائي ، ومن هنا فهي ليست طارئة في القصيدة ، أو فائضة عن الحاجة بل إنها ضرورة من ضرورات بنائها .

لقد وجد البياتي في القرية مكاناً نموذجياً للتمثيل على الظلم والفقر وبؤس البشر ومسرحة أو أفلمة الفكرة الاجتماعية بجدارة ، فأخذ سوقها مثالاً يجمع في فضائه تلك المشاهد المؤثرة ، وليهجو المدينة في إحدى الموتيفات المصورة لعائدين منها يصفونها بالوحش الضرير ، فكتب قصيدته "سوق القرية" من الشعر الحر ، قبل سنة ١٩٥٤م ، ونشرها في ديوانه "أباريق مهشمة" ، ومطلعها :

الشمس ، والحمر الهزيلة ، والذباب .
وحذاء جندي قديم .
يتداول الأيدي ، وفلاح يحدق في الفراغ :
في مطلع العام الجديد .
يداي تمتلئان حتماً بالنقود .
وسأشتري هذا الحذاء .

تصور القصيدة بأسلوب رائع وواقعي حياة الناس في السوق ، وما السوق وما يحوي من شرائح متعددة إلا رمز للمجتمع العربي الذي يعيش حياة الضعف والذل والفقر والجوع ، إنه مجتمع بسيط ، أمنياته متواضعة يعمل ليلاً ونهاراً كي يستمر في حياته ، ولكن ما يبذله من جهد وتعب لا يغير حاله ، وإنما تسير الأمور إلى الأسوأ فالأسوأ نجد في سوق القرية الحر ، الحمير الهزيلة الجائعة ، الذباب الذي يتجمع عند القاذورات ، الضعف ، حذاء جندي قديم ، الفلاح المحروم الذي ينتظر الموسم كي يحقق أمنيته المتواضعة ، الديكة والصياح (الحرية) ، المتفلسفون أصحاب النظريات ، الحاصدون المتعبون الذين يزرعون لغيرهم فلا يأكلون (الحرمان المطلق) ، العائدون من المدينة المتوحشة ، والمدينة المتوحشة التي لا ترحم أحداً ، تصرع موتى الفقراء وأجساد النساء والحالمين الطيبين ، وخوار الأبقار ، وباعة الأساور والعطور التي لا تبيع شيئاً ، فتشبه القرية بمدينة سدوم التي دمرت وهلكت (قوم لوط) وبالقبرة الصغيرة (قاسية القلب) ، وهذه البائعة متشائمة جداً حيث إنه لا شيء يمكن إصلاحه ، ونجد البنادق القديمة والحديد المثقل بالتعب والنعاس والذي يعترف أن الأشياء لا تتغير أبداً ، إذ لا تحول ولا تقدم في حياته ، فأبوه حداد وهو أيضاً حداد وابنه سيكون حداداً ، وكذلك نجد الخطايا الكبيرة التي لا يستطيع البحر والدموع أن يمحواها ، وشمس الظهيرة القاتلة ، وبائعات الكرم اللواتي ينشدن (الصورة الوحيدة في

القصيدة التي تجسد بصيصاً من الأمل) وأخيراً يقتل السوقي ويأتي المساء معلنا موعد النوم ، وهكذا في اليوم التالي نفس الصورة أن البياتي يحشد من الصور المأساوية ، حتى رأينا السوق مجسداً المجتمع الذي يعيشه والشرائح الإجتماعية على اختلافاتها وما تعيش من بؤس وشقاء ، وتنزف القصيدة دماً ودمعاً ، وهي تصوير رائع لمأساة الشرق العربي ، فالسوق إذا نموذج مصغر للعالم العربي الذي يرزح تحت وطأة الفقر والحرمان والسبات والتسمر في المكان ، نلمس النظرة التشاؤمية في قول بائعة العطور ، رمز للسعادة والفرح ، التي تؤكد دون تردد أن هذه المدينة لن تعود لها الحياة ، فهي مدمرة قاسية تعيسة .

والحق أن البياتي يعترف أن سبب هزيمتنا وتعاستنا يعود إلى أنفسنا وما نحمل من خطايا كثيرة لا يستطيع البحر أو الدموع أن يكفرا عنها ، فنحن سبب التعاسة والجهل والبؤس ، وذلك بما عملنا من خطايا وموبقات لا يمكن غفرانها ، فنحن السبب ولا أحد غيرنا (أقوال الحداد) ، رغم هذه المشاهد الحزينة المتشائمة إلا أننا نلمس بعضاً من التفاؤل وبصيصا من الأمل ، أغنية بائعات الكرم .

عرض البياتي قصيدته "سوق القرية" بشكل مشهد موصوف وانتقى شخوصه وعلاماته ودلالاته من البيئة الواقعية في الريف ، بمفردات مرصوفة بشكل متباين وذات مرجعيات ومناشيء مختلفة منها الزمانية والمادية والبشرية والنفسية وكرر بعضها أكثر من مرة لتعميق دلالاتها ، وأطرها بزمان ومكان لتحديد الحديث وتصوير الشكل الفيزيقي للشخصيات والدلالات الرمزية التي وظفها في النص ، فالتحمت عناصره واكتملت وحدته العضوية وأصبحت أجزاؤه المختلفة مرايا تعكس بعضها بعضاً لتقدم لنا صورة مشهدية مجسمة لعالم حقيقي وواقعي (١) .

---

(١) يراجع إحسان عباس : عبد الوهاب البياتي والشعر العراقي الحديث ، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ، ٢/١٩٥٥ – محسن الموسوي : المؤثرات الأجنبية في الشعر العربي المعاصر ، المؤسسة العربية للدراسات ، عمان ٣/١٩٥٥ – محي الدين صبحي : الرؤيا في شعر عبد الوهاب البياتي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ٤/١٩٨٦ – عزيز السيد الجاسم : الالتزام والتصوف في شعر عبد الوهاب ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٠م .

أسماء المدينة المنورة
في اللسان العربي

بقلم الدكتور محمد السيد علي بلاسي *

أسماء المدينة المنورة :

وأما المدينة المنورة فقد ذكر ياقوت الحموي لها تسعة وعشرين اسماً هي (١) :

"المدينة ، وطيبة ، وطابة ، والمسكنية ، والعذراء ، والجابرة ، والمحبة ، والمحببة ، والمحبورة ، ويثرب ، والناحية ، والموفية ، وأكالة البلدان ، والمباركة ، والمحفوفة ، والمسلمة ، والمجنة ، والقدسية ، والعاصمة ، والمرزوقة ، والشافية ، والخيرة ، والمحبوبة ، والمرحومة ، وجابرة ، والمختارة ، والمحرمة ، والقاصمة ، وطباباً" .

يقول العلامة السيوطي عن هذا البلد الطيب – على ساكنه أفضل الصلاة وأزكى التسليمات (٢) :

أخرج الزبير بن بكار في "أخبار المدينة" عن القاسم بن محمد قال : بلغني أن للمدينة في التوراة أربعين اسماً .

وأخرج عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال : سمى الله المدينة : الدار والإيمان .

وقال : حدثني محمد بن الحسن ، عن عبد العزيز بن محمد عن أيوب بن دينار عن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : للمدينة عشرة أسماء : فهي "المدينة ، وهي طيبة ، وهي طابة ، ومسكينة ،

---

* أكاديمي – خبير دولي – عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية – عضو اتحاد كتاب مصر – مستشار تحرير مجلة "التقوى" ، عضو اتحاد المؤرخين العرب – عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين .

(١) معجم البلدان : ٥/٨٣ ، ط. دار صادر بيروت ، سنة ١٩٥٧م .

(٢) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة : ص/١٩ – ٢٥ .

وجابرة ، ومجبورة ، وبند ، ويثرب ، والدار" .

قال : حدثني محمد بن حسن عن إبراهيم بن أبي الحسن قال : للمدينة في التوراة أحد عشر اسماً : "طيبة ، وطابة ، والمسكينة ، والمجبورة ، والمرحومة ، والعذراء ، والمحبة ، والمحبوبة ، والفاطمة" .

قال العلماء : إذا أطلقت أريد بها دار الهجرة ، غلب عليها تعظيماً لشأنها ، واشتقاقها من دار إذا أطاع ، فالميم زائدة أو من مدن بالمكان إذا أقام به فهي أصلية .

قال ابن دحية : والنسبة إليها مديني وإلى مدينة المنصور وهي بغداد مدني ، الميم فيها أصلية والياء زائدة .

وأما طابة ، وطيبة فاشتقاقهما من الطيب ، وهي الرائحة الحسنة .

قال ابن بكار : من سكنها يجد في تربتها وجدرانها رائحة طيبة ، أو من الطيب بالتشديد ، وهو الطاهر لخلوصها من الشرك وطهارتها أو من طيب العيش بها أقوال .

ومن أسمائها : طيبة ، بالتشديد ، والمطيبة ، والبلاط ، وحبيبة ، والمحبة ، (ذكر الكل ابن خالويه) ، "ومدخل صدق ، ودار السنة ، ودار الهجرة ، وحسنة ، البحرة ، والبحيرة" – (ذكر الأربعة كراع والثلاثة في اللغة للقرى) .

١- أكالة البلدان :

يقول ياقوت الحموي : ومن أسماء المدينة المنورة : أكالة البلدان (٣) .

وفي لسان العرب : الأكال : سادة الأحياء الذين يأخذون المرباع وغيره ، والمأكل : الكشب ، وفي الحديث : أمرت بقرية تأكل القرى ؛ هي المدينة ، أي يغلب أهلها وهم الأنصار بالإسلام على غيرها من القرى ، وينصر الله دينه بأهلها ويفتح القرى عليهم ويغنمهم إياها فيأكلونها (٤) .

٢- البحرة والبحيرة :

في القاموس المحيط : البحرة : البلدة ، والمنخفض من الأرض ، والروضة العظمة ، ومستنقع الماء ، واسم مدينة النبي – ﷺ – (٥) .

---

(٣) معجم البلدان ٥/٨٣ . (٤) لسان العرب : مادة (أكل) . (٥) القاموس المحيط : ص/٤٤٢ .

وفي لسان العرب : البحيرة : مدينة سيدنا رسول الله – ﷺ – ، وهي تصغير البحرة ، وقد جاء في رواية مكبراً ، والعرب تسمى المدن والقرى : البحار (٦) .

٣- المباركة :

ذكر ياقوت الحموي : من أسماء المدينة المنورة : المباركة (٧) .

وفي القاموس المحيط : والمباركة : دار بالمدينة بركت بها ناقة النبي – ﷺ – لما قدم (٨) .

٤- البلاط :

ذكر العلامة السيوطي : – نقلاً عن ابن خالويه – ؛ من أسماء المدينة المنورة : طيبة – بالتشديد ؛ والمطيبة ، والبلاط ، وحبيبة والمحببة (٩) .

وفي القاموس المحيط : البلاط ، كسحاب : الأرض المستوية الملساء ، والحجارة التي تفرش في الدار ، وكل أرض فرشت بها أو بالآجر وموضع بالمدينة بين المسجد والسوق مبلط (١٠) .

يقول ابن منظور : وفي حديث جابر : عقلت الجمل في ناحية البلاط ، قال : البلاط ضرب من الحجارة تفرش به الأرض ، ثم سمي المكان بلاطاً اتساعاً ، وهو موضع معروف بالمدينة تكرر ذكره في الحديث (١١) .

٥- البند :

وفي القاموس المحيط : البند ، العلم الكبير (١٢) .

وفي لسان العرب : البند العلم الكبير ، وجمعه بنود ، وليس له جمع أدنى عدد ، والبند : كل علم من الأعلام (١٣) .

---

(٦) لسان العرب : مادة (بحر) .

(٧) معجم البلدان : ٥/٨٣ .

(٨) القاموس المحيط : ص/١٢٠٥ .

(٩) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة : ص/٢٤ .

(١٠) القاموس المحيط : ص/٨٥٢ .

(١١) لسان العرب : مادة (بلط) .

(١٢) القاموس المحيط : ص/٣٤٣ . (١٣) لسان العرب : مادة (بند) .

٦، ٧- يثرب وأثرب :

يقول الفيروزآبادي : ويثرب وأثرب : مدينة النبي – ﷺ – ، وهو : يثربي وأثربي بفتح الراء وكسرها فيهما (١٤) .

وفي لسان العرب : ويثرب : مدينة سيدنا رسول الله – ﷺ – ، والنسب إليها يثربي وأثربي وأثربي ، فتحوا الراء استثقالاً لتوالي الكسرات .

وروي عن النبي – ﷺ – أنه نهى أن يقال للمدينة يثرب ، وسماها طيبة ؛ كأنه كره الثرب ؛ لأنه فساد في كلام العرب .

قال ابن الأثير : يثرب اسم مدينة النبي – ﷺ – قديمة ، فغيرها وسماها طيبة وطابة كراهية التثريب ، وهو اللوم والتعبير ، وقيل : وهو اسم أرضها ، وقيل : سميت باسم رجل من العمالقة (١٥) .

ويوضح العلامة السيوطي التسمية بقوله : وأما تسميتها بيثرب : فقيل باسم أرض في ناحية ، وقيل : اسم لها بيثرب بن وائل من بني آرم بن سام بن نوح – عليه السلام – ؛ كأنه أول من نزلها ، فسميت به ، لأنه اسم في القرآن حكاية عن قول المنافقين (١٦) .

وورد في الصحيح النهي عن تسميتها به ، كأنه من الثرب وهو الفساد ، أو من التثريب ، وهو التوبيخ ، وكان رسول الله – ﷺ – يكره الاسم الخبيث .

وأخرج أحمد عن البراء بن عازب – رضي الله عنه – قال : قال النبي – ﷺ – : "من سمى المدينة بيثرب فليستقر الله – عز وجل – ، هي طابة" .

وأخرج الزبير بن بكار : من حديث ابن عباس مثله (١٧) .

٨، ٩- الجابرة ، والمجبورة :

يقول الفيروز آبادي : والمجبورة وجابرة : اسمان لطيبة المشرفة (١٨) .

---

(١٤) القاموس المحيط : ص/٨٠ . (١٥) لسان العرب : مادة (ثرب) .

(١٦) لعله يقصد قول الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ (سورة الأحزاب الآية/١٣) .

(١٧) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة : ص/٢٤ ، ٢٥ .

(١٨) القاموس المحيط : ص/٤٦١ .

وفي لسان العرب : وجابرة : اسم مدينة النبي – ﷺ – ، كأنها جبرت الإيمان ، وسمي النبي – ﷺ – المدينة بعدة أسماء ، منها الجابرة والمجبورة (١٩) .

١٠- المجنة :

ذكرها ياقوت الحموي : ضمن أسماء المدينة المنورة (٢٠) .

وفي القاموس المحيط : المجن ، الوشاح ، ولا جن ، بالكسر ، لا خفاء ، وكجهينة : موضع بعقيق المدينة (٢١) .

١١ : ١٤- المحبة والمحبوبة والمحببة والحبيبة :

في القاموس المحيط : المحبة والمحبوبة والمحببة والحبيبة : مدينة – النبي – ﷺ – (٢٢) .

يقول ابن منظور : وحبان وحبان : اسمان موضوعان من الحب ، والمحبة والمحبوبة جميعاً : من أسماء مدينة النبي – ﷺ – ، حكاهما كراع : لحب النبي – ﷺ – وأصحابه إياها (٢٣) .

١٥- المحبورة :

ذكر ياقوت الحموي : من أسماء المدينة المنورة : المحبورة (٢٤) .

١٦- المحرمة :

من بين أسماء المدينة المنورة التي أوردها ؛ ياقوت الحموي (٢٥) .

١٧- حسنة :

يقول العلامة السيوطي : ومن أسماء (المدينة المنورة) : طيبة ، بالتشديد ، والمطيبة ، والبلاط ، وحبيبة والمحببة (ذكر الكل ابن خالويه) ،

---

(١٩) لسان العرب : مادة (جبر) ، مادة : (طيب) .

(٢٠) معجم البلدان : ٨٣/٥ .

(٢١) القاموس المحيط : ص/١٥٣٢ .

(٢٢) المصدر السابق : ص/١٩ .

(٢٣) لسان العرب : مادة (حبب) .

(٢٤) معجم البلدان : ٣٨/٥ .

(٢٥) معجم البلدان : ٣٨/٥ ومدخل صدق ، ودار السنة ، ودار الهجرة ، وحسنة ،

والبحرة والبحيرة – ذكر الأربعة كراع والثلاثة في اللغة اسم للقرى (٢٦) .

١٨- **المحفوفة :**

يقول ياقوت الحموي : ومن أسماء المدينة المنورة : المحفوفة (٢٧) .

١٩- **المختارة :**

ذكرها ياقوت الحموي : ضمن أسماء المدينة المنورة (٢٨) .

٢٠- **الخيرة :**

ذكرها ياقوت الحموي : ضمن أسماء المدينة المنورة (٢٩) .

ويقول الفيروز آبادي : والخيرة ، ككيسة : المدينة (٣٠) .

٢١- **مدخل الصدق :**

ذكر العلامة السيوطي : من أسماء المدينة المنورة : مدخل الصدق (٣١) .

٢٢- **الدار والإيمان :**

يقول العلامة السيوطي : أخرج عبد الله بن جعفر عن أبي طالب قال : سمى الله المدينة : الدار والإيمان (٣٢) .

وفي القاموس المحيط : الدار : المحل تجمع البناء والعرصة ، كالدارة ، وقد تذكر ، والجمع : أدؤر وأدور وآدر وديار وديارة وديران ودوران ودورات وديارات وأدوار وأدورة ، والبلد ، ومدينة النبي – ﷺ – (٣٣) .

وفي لسان العرب : الدار : اسم لمدينة سيدنا رسول الله – ﷺ – وفي التنزيل العزيز ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ﴾ (٣٤) .

---

(٢٦) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة : ص/٢٤ .

(٢٧) معجم البلدان : ٥/٨٣ .

(٢٨) المصدر السابق : ٥/٨٣ .

(٢٩) نفس المصدر : ٥/٨٣ .

(٣٠) القاموس المحيط : ص/٤٦٨ .

(٣١) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة : ص/٢٢ .

(٣٢) انطلاقاً من قول الله – تعالى – : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ (سورة الحشر الآية/٩) ، وينظر : الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة : ص/٢٠ .

(٣٣) القاموس المحيط : ص/٥٠٣ .

(٣٤) لسان العرب : مادة (دور)

٢٣- **دار السنة :**

ذكرها السيوطي : ضمن أسماء المدينة المنورة (٣٥) .

يقول ابن منظور : السنة : الطريقة المحمودة المستقيمة ، ولذلك قيل : فلان من أهل السنة ، معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة ؛ وهي مأخوذة من السنن ، وهو الطريق .

ويضيف ابن منظور : وقد تكرر في الحديث ذكر السنة وما تصرف منها ، والأصل فيه الطريقة والسيرة ، وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر النبي – ﷺ – ، ونهي عنه ، وندب إليه ، قولاً وفعلاً مما لم ينطق به الكتاب العزيز ، ولهذا يقال في أدلة الشرع : الكتاب والسنة ، أي القرآن والحديث (٣٦) .

٢٤- **دار الهجرة :**

وهي من بين الأسماء التي أوردها العلامة السيوطي : للمدينة المنورة (٣٧) .

وفي لسان العرب : الهجرة والهِجرة : الخروج من أرض إلى أرض ، والمهاجرون : الذين ذهبوا مع النبي – ﷺ – مشتق منه (٣٨) .

٢٥- **المرحومة :**

ذكر ياقوت الحموي : من أسماء المدينة المنورة : المرحومة (٣٩) .

وفي القاموس المحيط : وأم الرحم : مكة ، والمرحومة : المدينة ، شرفهما الله – تعالى – (٤٠) .

يقول ابن منظور : والمرحومة : من أسماء مدينة سيدنا رسول الله – ﷺ – ؛ يذهبون بذلك إلى مؤمني أهلها (٤١) .

---

(٣٥) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة : ص/٢٤ .

(٣٦) لسان العرب : مادة (سنن) .

(٣٧) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة : ص/٢٤ .

(٣٨) لسان العرب : مادة (هجر) .

(٣٩) معجم البلدان : ٥/٨٣ .

(٤٠) القاموس المحيط : ص/١٤٣٦ .

(٤١) لسان العرب : مادة (رحم) .

٢٦- المرزونة :

ذكرها ياقوت الحموي : ضمن أسماء المدينة المنورة (٤٢) .

٢٧- المسكينة :

في القاموس المحيط : المسكينة : المدينة النبوية ، ﷺ (٤٣) .

يقول العلامة السيوطي : وأما تسميتها بالمسكينة فهو من السكينة أو المسكنة (٤٤) .

ويقول ابن منظور : والمسكينة : اسم مدينة النبي – ﷺ – ؛ قال ابن سيده : لا أدري لم سميت بذلك إلا أن يكون لفقدها النبي – ﷺ – (٤٥) .

٢٨- المسلمة :

ذكر ياقوت الحموي : من أسماء المدينة المنورة : المسلمة (٤٦) .

وفي لسان العرب : وسلمة ومسلمَة وسلام وسلامة وسليمان .. أسماء مسلمة : اسم مفعلة من السلم (٤٧) .

٢٩- الشافية :

ذكر ياقوت الحموي : ضمن أسماء المدينة المنورة : الشافية (٤٨) .

٣٠- طبابا :

من بين أسماء المدينة المنورة التي أوردها ياقوت الحموي (٤٩) .

٣١ : ٣٤- طيبة ، وطابة ، والطيبة والمطيبة :

يقول العلامة السيوطي : وأما طابة ، وطيبة : فاشتقاقهما من الطيب ، وهي الرائحة الحسنة ، قال ابن بكار : من سكنها يجد في تربتها

---

(٤٢) معجم البلدان : ٨٣/٥ .

(٤٣) القاموس المحيط : ص/١٥٥٦ .

(٤٤) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة : ص/٣٤ .

(٤٥) لسان العرب : مادة (سكن) .

(٤٦) معجم البلدان : ٨٣/٥ .

(٤٧) لسان العرب : مادة (سلم) .

(٤٨) معجم البلدان : ٨٣/٥ .

(٤٩) المصدر السابق : ٨٣/٥ .

وجدارنها رائحة طيبة ، أو من الطيب – بالتشديد – وهو الطاهر لخلوصها من الشرك وطهارتها ، أو من طيب العيش ، بها أقوال (٥٠) .

وفي القاموس المحيط : وطيبة : المدينة النبوية ، كطابة ، والطيبة والمطيبة (٥١) .

يقول ابن منظور : وطيب وطيبة : موضعان ، وقيل : طيبة وطابة المدينة ، سماها به النبي – ﷺ – قال ابن بريّ : قال ابن خالويه : وسماها النبي – ﷺ – بعدة أسماء ، وهي : طيبة ، وطيبة ، وطابة ، والمطيبة ، والجابرة ، والمجبورة ، والحبيبة ، والمحببة .

قال ابن الأثير في الحديث : إنه أمر أن تسمى المدينة طيبة وطابة ، هما من الطيب ، بأن المدينة كان اسمها يثرب ، والثرب الفساد ، فنهي أن تسمى به ، وسماها طابة وطيبة وهما تأنيث طيب وطاب ، بمعنى الطيب ، قال : وقيل هو من الطيب الطاهر ؛ لخلوصها من الشرك ، وتطهيرها منه ، ومنه : جعلت لي الأرض طيبة طهروا ، أي نظيفة غير خبيثة (٥٢) .

٣٥- العذراء :

يقول الفيروزآبادي : العذراء .. مدينة النبي – ﷺ – (٥٣) .

يقول العلامة السيوطي : أما تسميتها بالعذراء : كأنها لم تنل بمكروه (٥٤) .

وفي لسان العرب : والعذراء : اسم مدينة النبي – ﷺ – أراها سميت بذلك ؛ لأنها لم تنل (٥٥) .

٣٦- العاصمة :

ذكر ياقوت الحموي : من أسماء المدينة المنورة : العاصمة (٥٦) .

---

(٥٠) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة ، ص/٢٢ .

(٥١) القاموس المحيط : ص/١٤١ .

(٥٢) لسان العرب : مادة (طيب) ، ويراجع : عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، للسمين الحلبي ، ١٦٠٥/٣ ، والنهاية : ١٤٩/٣ .

(٥٣) القاموس المحيط : ص/٥٦٢ . (٥٤) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة : ص/٢٤ .

(٥٥) أي لم تنل بمكروه ، وينظر ؛ لسان العرب : مادة (عذر) وهامشها .

(٥٦) معجم البلدان : ٨٣/٥ .

وفي القاموس المحيط : العاصمة : المدينة (٥٧) .

يقول ابن منظور : العصمة في كلام العرب : المنع ، وعصمة الله عبده : أن يعصمه مما يوبقه ، عصمه يعصمه عصماً : منعه ووقاه (٥٨) .

٣٧- الفاطمة :

يقول العلامة السيوطي : أخرج عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال : حدثني محمد بن حسن عن إبراهيم بن أبي الحسن قال : للمدينة في التوراة أحد عشر اسما : طيبة ، وطابة ، والمسكينة ، والمجبورة ، والمرحومة ، والعذراء ، والمحبة ، والفاطمة (٥٩) .

٣٨- القدسية :

يقول ياقوت الحموي : ومن أسماء المدينة المنورة : القدسية (٦٠) .

٣٩- القاصمة :

يقول ابن منطور : والقاصمة : اسم مدينة سيدنا رسول الله – ﷺ – قال ابن سيده : أرى ذلك لأنها قصمت الكفر ، أي أذهبته (٦١) .

ويقول العلامة السيوطي : معللا تسمية المدينة المنورة بـ : "القاصمة" ؛ لأنها قصمت الجبابرة (٦٢) .

٤٠- المدينة :

يقول العلامة السيوطي : قال ابن دحية : والنسبة إليها مديني والي مدينة المنصور وهي بغداد مدني ، الميم فيها أصلية والياء زائدة (٦٣) .

في عمدة الحفاظ : المدينة : البلد التي كثر سكانها ، مَدَنَ بالمكان إذا أقام به ووزنها فعلية (٦٤) .

---

(٥٧) القاموس المحيط : ص/١٤٧ . ٥٨) لسان العرب : مادة (عصم) .

(٥٩) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة ، ص/٢١ ، ٢٢ .

(٦٠) معجم البلدان : ٥/٨٣ .

(٦١) لسان العرب : مادة (قصم) ، وانظر معجم البلدان : ٥/٨٣ .

(٦٢) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة : ص/٢٤ .

(٦٣) المصدر السابق : ص/٢٢ ، وقارن بـ : مختصر كتاب المين ، للخطيب الإسكافي : ص/١١٢٣ .

(٦٤) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ : ٤/٢٤٧٠ .

يقول الفيروزآبادي : مَدَنَ : أقام ، فعل ممات ، ومنه : المدينة ، للحصن يبنى في أصطمَّة أرض ، والجمع : مدائن ومُدُنٌ ومُدْنٌ (٦٥) .

وفي لسان العرب : المدينة : اسم مدينة سيدنا رسول الله – ﷺ – خاصة ، غلبت عليها تفخيماً لها ، شرفها الله وصانها (٦٦) .

٤١- الناجية :

ذكر ياقوت الحموي : من أسماء المدينة المنورة : الناجية (٦٧) .

بقول ابن منظور : وناجية ، اسم (٦٨) .

٤٢- الموفية :

يقول الفيروزآبادي : والموفية : اسم طيبة ، صلى الله على ساكنها وسلم (٦٩) .

وذكر ياقوت الحموي : من أسماء المدينة المنورة : الموفية (٧٠) .

---

(٦٥) القاموس المحيط : ص/١٥٩٢ .

(٦٦) لسان العرب : مادة (مدن) .

هذا : ولعل لفظ "المدينة" من باب توارد اللغات ؛ فقد جاء في النقوش العبرية بصيغة م د ي ن هـ ، وبصيغة م د ي ن ت ، في الآرامية الدولية ، والتدمرية بصيغة م د ي ن ت ا ، وفي الصفوية بصيغة م د ن ت ، ينظر ؛ المعجم النبطي (دراسة مقارنة للمفردات والألفاظ النبطية) : د. سليمان الزيبب ، ص/١٤٩ ، الطبعة الأولى – مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض ، سنة ١٤٢١ هـ .

هذا ؛ ويرى المستشرقون أن اليهود المتأثرين بالثقافة الآرامية أو بعض المتهودة من بني أرم الذين نزلوا يثرب هو الذين دعوها : "مدينتا" والتي تعني "الحمى" أي "مدينة" ؛ ومنها جاءت المدينة ، أما كلمة "مدينة" على أنها اختصار من مدينة الرسول – ﷺ – فيرون أنه رأي متأخر قال به العلماء .

ينظر ؛ مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول : د. أحمد إبراهيم الشريف ، ص/٢٩١ ، ط. دار الفكر العربي ، د. ت وتاريخ العرب قبل الإسلام : د. جواد علي ، ٤/١٨١ ، ط. المجمع العلمي العراقي ببغداد ، د. ت .

(٦٧) معجم البلدان : ٥/٨٣ . (٦٨) لسان العرب : مادة (نجا) .

(٦٩) القاموس العربي : ص/١٧٣١ .

(٧٠) معجم البلدان : ٥/٨٣ .

أوثق مرجع في لغة العرب هو القرآن !

بقلم : الدكتور محمد عناية الله اسد سبحاني
عميد كلية القرآن بالجامعة الإسلامية – شانتا برم

يحلو لنا أن نقول إن القرآن هو أوثق وأوسع مرجع في لغة العرب ، فقد تكون هناك كلمة عربية استعملها العرب في معنى ، واستعملها القرآن في ذلك المعنى ، وفي معنى آخر ، لا يعثر له على شاهد في كلام العرب ، ولكن تلك الكلمة تكون واضحة في مدلولها بحكم موقعها وسياقها .

إذا كان الوضع هكذا ، فلا يترك ذلك المعنى الذي يقتضيه السياق ، وتدل القرينة على صحته ، والكلمة تتسع لذلك المعنى من غير تكلف ، لا يترك ذلك المعنى بحجة أنه لم يعثر له على شاهد في كلام العرب .

فإن القرآن كلام محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بخلاف كلام العرب ، فإنه ليس كله محفوظاً ، بل جزء كبير منه قد تلاعبت به الأيام ، وعبثت به يد الحدثان ، والذي وصل إلينا أقل مما ذهب عنا من غير شك .

نضرب لذلك مثلاً قوله تعالى في سورة يوسف :

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتْ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (سورة يوسف الآيتان /٣٠ – ٣١) .

ما قيل في معنى : (قطعن أيديهن) :

قال القرطبي ، وهو يفسر تلك الآيات : "قوله تعالى : ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ قال مجاهد : قطعنها حتى ألقينها ، وقيل : خدشنها ، وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : حزا بالسكين ، قال النحاس : يريد مجاهد أنه ليس قطعاً تبين منه اليد ، إنما هو خدش وحز ، وذلك معروف في اللغة أن يقال إذا خدش الإنسان يد صاحبه قطع يده ، وقال عكرمة : "أيديهن

أكمامهن ، وفيه بعد ، وقيل : أناملهن ، أي ما وجدن ألما في القطع والجرح ، أي لشغل قلوبهن بيوسف ، والتقطيع يشير إلى الكثرة ، فيمكن أن ترجع الكثرة إلى واحدة جرحت يدها في مواضع ، ويمكن أن يرجع إلى عددهن" (١) .

وقال أبو حيان الأندلسي :

"وقطعن أيديهن أي جرحنها ، كما تقول : كنت أقطع اللحم فقطعت يدي ، والتضعيف للتكثير إما بالنسبة لكثرة القاطعات ، وإما بالنسبة لتكثير الحز في يد كل واحدة منهن ، فالجرح كأنه وقع مراراً في اليد الواحدة ، وصاحبتها لا تشعر لما ذهلت بما راعها من جمال يوسف ، فكأنها غابت عن حسبها ، والظاهر أن الأيدي هي الجوارح المسماة بهذا الاسم" (٢) .

وهكذا نرى المفسرين ، رحمهم الله ، سلكوا مسلكاً واحداً في تأويل ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ ، والباحث حينما ينظر في هذا التأويل لا يرتاح إليه لإشكالات آتية :

الإشكال الأول :

لقد استعمل القرآن لفظ (تقطيع الأيدي) مرات ، مثل قوله تعالى :

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى﴾ (سورة طه الآية/٧١) .

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة المائدة الآية/٣٣) .

فالقرآن لا يستعمل (تقطيع الأيدي) بمعنى : الخدش ، والحزّ ، والجرح البسيط في اليد ، كما زعموا عن تلك النسوة ، بل يستعمله بمعنى : المبالغة في القطع المتقطع بشكل مؤلم فظيع حتى تنفصل اليد ، أو الرجل من الجسم ، كما فعل فرعون مصر بالسحرة الذين آمنوا بسيدنا موسى

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٩/١٨٠ .

(٢) أبو حيان – البحر المحيط : ٥/٢٥٠ .

وسيدنا هارون عليهما السلام ، وكما أمر القرآن أن يفعل بالذين يحاربون الله ورسوله ، ويفسدون في الأرض .

الإشكال الثاني :

حينما قال النسوة بحرف واحد عن سيدنا يوسف عليه السلام :

﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (سورة يوسف الآية/٣١) .

فهن لم يقصدن بكلامهن ، تلك الوسامة والقسامة ، وذلك الحسن والجمال الذي كان يكسو وجه سيدنا يوسف عليه السلام ، وإنما قصدن بكلامهن ذلك السمو النفسي ، والعلو الروحي ، والطهر والعفاف الذي كان يتحلى به سيدنا يوسف عليه السلام على الوجه الأكمل – على الوجه الذي لا يتصور من أي بشر ! وإنما هو من شأن الملائكة المكرمين .

والملائكة المكرمون يضرب بهم المثل في الخير والصلاح والبر والتقوى ، لا في الحسن والجمال وقسامة الوجه .

الإشكال الثالث :

حينما أرسل الملك إلى سيدنا يوسف ، وقد أعجب بتأويل رؤياه ، قال سيدنا يوسف لرسول الملك : ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (سورة يوسف الآية/٦) .

فإن كان الأمر كما قيل ، وهو أن تلك النسوة حينما رأين سيدنا يوسف عليه السلام بهتن لطلعته ، ودهشن وجرحن أيديهن بالسكاكين للدهشة المفاجئة ، أو حززنها بالسكاكين ، ولم يجدن الألم لشغل قلوبهن بيوسف ، إن كان الأمر كذلك فهذا يعني أن تلك النسوة ليس لهن ذنب ، وما عليهن غبار .

إنهن ما أتين بشيء منكر يستوجب اللوم أو المؤاخذة أو المحاكمة ، وإنما حدث ما حدث بصورة طبيعية خالصة ، ولم يكن هناك كيد ولا تدبير ولا تعاون على الإثم ، أو مجاهرة بالسوء .

وإذاً ، فلماذا تذكر هن سيدنا يوسف عليه السلام بعد مدة طويلة لا تقل عن عشر حجج ؟ ولماذا تذكر تقطيعهن أيديهن بصفة خاصة ، وما علاقته بالفحص عما حصل بينه وبين امرأة العزيز ؟ ولماذا قال بعد ذكر

تقطيع الأيدي :

﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ .

تلك أمور لا تدعنا نستريح أو نطمئن إلى ما قيل في تأويل الآية .

وهنا يأتي سؤال : فما تأويل الآية إذاً ؟

قبل أن نقبل إلى تأويل الآية بإذن الله ، نود أن ننبه إلى أمرين كانا مزلة الأقدام ، وكانا زلقا للناس في تأويل الآية :

معنى السكين :

ما المراد بالسكين في قوله تعالى : ﴿وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ ؟

فقد يراد بالسكين تلك الأداة التي تقشر بها الفواكه والخضارة ، أو يقطع بها اللحم ، وهو المعنى المعروف للفظ .

ويراد بها أحيانا على سبيل الاستعارة ، أدوات الزينة والتجمل من الحلي والحلل ، وأصناف الطيب التي تستخدمها المرأة وتتزين بها ، وتستعين بها على اقتناص من تريده من الرجال .

ويراد به أحياناً ذلك الجمال الساحر ، الذي تملكه المرأة بطبيعتها ، وتقتنص به الرجال .

وهناك كلمات أخرى غير السكين ، تستعار لذكر فتنة المرأة واستحواذها على الرجال ، مثل : النبل ، والسلاح ، والسهام .

قال امرؤ القيس :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

يقول الزوزني في شرح هذا البيت :

للأئمة في البيت قولان ، قال الأكثرون : استعار للحظ عينيها ودمعهما اسم السهم لتأثيرهما في القلوب ، وجرحهما إياها كما أن السهام تجرح الأجسام وتؤثر فيها .

وتلخيص المعنى على هذا القول : وما دمعت عيناك وما بكيت إلا لتصيدي قلبي بسهمي دمع عينيك وتجرحي قطع قلبي الذي ذللته بعشقك غاية التذليل ، أي نكايتهما في قلبي نكاية السهم في المرمى (٣) .

(٣) شرح المعلقات السبع للزوزني – معلقة امرئ القيس : ١/٢٣ – ٢٤ .

وقال بشار بن برد :

لقد شط المزار فبت صبا ... يطالعني الهوى من كل بابه
وعهدي بالفراغ وأم بكر ... ثقال الردف طيبة الرضاب
من المتصيدات بكل نبل ... تسيل إذا مشت سيل الحباب
مصورة يحار الطرف فيها ... كأن حديثها سكر الشراب (٤)

وقال أبو دهبل الجمحي :

جنية أو لها جن يعلمها ... رمى القلوب بقوس ما لها وتر (٥)

وقال آخر :

تعرضن مرمى الصيد ثم رمينا ... من النبل لا بالطائشات الخواطف
ضعائف يقتلن الرجال بلا دم ... فيا عجبا للقائلات الضعائف (٦)

وقال أبو علي القالي :

وزادني بعض أصحابنا عن أبي الحسن الأخفش :

إذا سمعت آذانها صوت سائل ... أصاخت فلم تأخذ سلاحاً ولا نبلا

قال أبو علي : السلاح ههنا جمالها (٧) .

ثم هذه الاستعارة ليست خاصة بالنساء وسحرهن ، وسبيهن قلوب الرجال ، بل استخدموها للنوق كذلك .

ومنه قول المساور بن هند بن قيس بن زهير :

إذا قلت عودوا عاد كل شمردل ... أشم من الفتيان جزل مواهبه
إذا أخذت بزل المخاض سلاحها ... تجرد فيها متلف المال كاسبه

قال المرزوقي في شرحه :

يقول : إذا عرض على كل واحد من بني غالب معاودة الحروب والكرور فيها عاد منهم كل رجل تام الخلقة ممتد القامة ، كريم النفس ، كثير العطية .

---

(٤) ديوان بشار بن برد : ١٤٦/١ – ١٤٧ .

(٥) ديوان الحماسة لأبي تمام – باب النسيب : ١٣٢/٢ .

(٦) نفس المصدر – باب النسيب :١٠٤/٢ .

(٧) الأمالي في لغة العرب – أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي : ٤/٢ .

وقوله : (إذا أخذت بزل المخاض سلاحها) فالمراد بسلاحها محاسنها وأمارات عتقها وكرمها ، كأنها تتحلى بتلك المحاسن في عين أربابها حتى تحلى ، فيصير ذلك سبباً للضن بها .

يريد أن تحسنها بسلاحها في عينه لا يجدي عليها نفعاً ، ولا يدفع عنها مكروهاً ، لما به من إكرام الضيوف ، ويوجب على نفسه من قضاء الحقوق (٨) .

ولا نريد أن نكثر ، ففي تلك الأمثلة كفاية ، والجدير بالذكر أن الشعراء حينما يذكرون تلك المعاني ، يكثرون من ذكر السهام ، والنبال ، والقسي ، والسلاح ، فإن النضال عندهم من بعيد .

وأما القرآن ، فإنه عدل عن تلك الكلمات إلى لفظ (السكين) ؛ فإن الصيد في متناول اليد ، وليس عن النسوة ببعيد ، فالمراد بالسكين في قوله تعالى : ﴿وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ أدوات الزينة والتجمل التي تزيد في فتنة تلك النسوة ، وتزيد من سحر جمالهن ، وتساعدهن في تدلية يوسف واستوائه والاستحواذ عليه (٩) .

وأما السكين بمعنى : المدية ، أو آلة القطع والذبح والتقشير ، فهذا ليس مكانه ، وأسلوب الكلام وموقعه لا يقبله ، والمدية لا تقدم للضيف في يده ، ولا سيما إذا كانت ضيافة النسوة .

وإنما تكون المدية – إذا كانت – مع الطعام والفواكه في ضمن أدوات الأكل والتفكه ، ولو قدم إنسان لضيفه مدية من غير مستلزماتها لأوحشه ، وربما عاد الضيف على أدراجه !

---

(٨) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، باب الأضياف ، وقال المساور بن هند بن قيس بن زهير .

(٩) ومما أفادني بعض الإخوة المتخصصين في الفنون الإسلامية ، وهو الأخ منذر صبحي غنام الحسيني من فلسطين ، أنه كان يستخدم السكين في الآثار المصرية كأداة خاصة للزينة ، وكان كمثل ما يسمى اليوم المكياج وما أشبهه .

فإن صح أن السكين كان أداة خاصة من أدوات الزينة وكان يشبه المكياج ، فهذا لا ينافي أن يستعار هذا اللفظ لمعنى أوسع وأشمل وأجمل كأخواته من السهام ، والسلاح ، والنبال ، والقسي ، كما قدمنا .

معنى : (قطعن أيديهن) :

سبق أن قلنا أن لفظ : التقطيع يفيد معنى المبالغة في القطع ، فإذا قيل مثلاً : قطع القاضي أو الحاكم أيدي المجرمين وأرجلهم ، فلا يفيد ذلك إلا أنه قطعها شر قطعة ، ودكها دكاً ، ورضرضها رضرضة ، والقرآن لا يذكر تقطيع الأيدي والأرجل إلا في المعنى .

ولا يفيد اللفظ هذا المعنى إلا إذا تولى شخص تقطيع أيدي الآخرين ، ولكن إذا كان أصحاب الأيدي هم الذين يقطعون أيديهم فحينئذ يتحول اللفظ من الحقيقة إلى المجاز ، لاستحالة أن يقطع أصحاب الأيدي أيديهم حقيقة ، فاللفظ يكون إذاً استعارة لبذل أقصى الجهد ، واستنفاد الطاقة .

فحينما جاء عن هؤلاء النسوة أنهن قطعن أيديهن ، فهذا يوحي أنهن بذلن أقصى جهدهن ، وأقصى كيدهن وأبلغ مكرهن لاستهواء يوسف ، وإزلاقة من قمة الطهر والعفاف إلى مهواة الفجور والفاحشة !

ويدل عليه أيضاً دعاء يوسف واستجابة ربه له ، بعد ما انتهت تلك المهزلة المخزية بفشل تلك النسوة :

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۞ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة يوسف الآيتان/٣٣ – ٣٤) .

كما يدل عليه قول يوسف لرسول الملك حينما جاءه في السجن ، حيث قال :

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (سورة يوسف الآية/٥٠) .

وهذا التركيز على لفظ الكيد إن دل على شيء فإنما يدل على ضخامة ذلك الكيد والمكر الذي ابتلي به سيدنا يوسف من تلك النسوة الفاتنات الماكرات ، ولكنه خرج بفضل الله وتوفيقه ، من تلك الفتنة الحالقة ، مرفوع الرأس حيث لم يمسسه سوء ، واعترفت تلك النسوة بكل صراحة بنزاهته وطهارته وشموخه :

﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ .

تأويل الآيات كما يمليه علينا السياق :

والآن بعد هذا التقديم المهم نتوجه إلى تأويل تلك الآيات ، فنقول :

حينما راودت امرأة العزيز سيدنا يوسف عن نفسه ، وبذلت كل ما استطاعت من صنوف الكيد والحيل لاستهوائه ، وفشلت فشلاً مخزياً فيما بذلت وفيما حاولت ، افتضحت بين جاراتها وصديقاتها فضيحة لم تتصورها ، وأصبحت حديث النسوة في كل بيت ، وكلما اجتمعت صديقاتها وزميلاتها في صباحهن ومسائهن ، تحدثن عنها ، وسخرن منها ، وقلن :

تلك المرأة خرقاء ذات نيقة ، لا تعرف كيف تستبي فتاها ! ليس فيها مكر ودهاء ! لو كنا مكانها ، لفعلنا كذا وكذا ! وما كان لفتاها إلا أن يستسلم لنا ، ويركع أمامنا !

فذلك قوله تعالى :

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾ (سورة يوسف الآية/٣٠) .

فالنسوة حينما قلن : ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾ لم يقصدن أنها ليست عفيفة راشدة ، وإنما قصدن أنها امرأة خرقاء ، لا تعرف كيف تنجز أمرها ، وكيف تنال مبتغاها !

وأوضح دليل على ذلك أنهن فعلن كل ما فعلته امرأة العزيز ، حينما سنحت لهن الفرصة ، فالأمر ما كان أمر خلق وفضيلة ، وإنما كان أمر المهارة واللباقة في إنجاز الرذيلة !

فلما وصل حديثهن إلى أذن امرأة العزيز ، أخذتها العزة بالإثم ، وقررت أن تجمعهن جميعاً في قصرها ، وتفسح لهن المجال مع فتاها ، حتى يجربن ما يتبجحن به من مكرهن ودهائهن ، وهي على يقين بأنهن لن ينجحن فيما فشلت فيه ، وإنما كانت تريد أن تكمم أفواههن ، وتقيم الحجة على أنها إن فشلت في مبتغاها ، فليس ذلك بسبب عجزها وخرقها ، وضعف في مكرها ودهائها ، وإنما فشلت لأنها أدخلت يدها في أمر مستحيل !

فكان أن أرسلت إليهن ، وأعتدت لهن غرقا مريحة فارهة تناسب مهمتهن ، وهيأت لهن جميع أدوات الزينة وأسباب الفتنة ، حتى لا يبقى عذر في فشلهن مع يوسف ، إذا فشلن كفشلها .

فأقبلت إليه النسوة كاسيات عاريات مائسات ، ومكرن مكراً ، وألقين حبالاً ، ورمينه بكل سهم ؛ وتعرضن له بكل سكين ، وأظهرن لافتتانه كل مهارة ولباقة ، وكانت نهاية كيدهن ومكرهن أنهن اعترفن اعترافاً :

﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ .

جملة القول أن المعاجم والقواميس لا تساعدنا في معنى (آتت كل واحدة منهن سكينا) كما لا تساعدنا في معنى (قطعن أيديهن) ولكن القرآن – بجوه وسياقه – واضح في معنى اللفظين ، فلا مبرر للعدول عن ظاهر إلى معان لا يقرّها اللسان ، ولا يقترن بها برهان .

مثال آخر :

ومن هذا النوع قوله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنْ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾ (سورة النساء الآية/٥١) .

فما معنى الجبت ؟

ما قيل في معنى الجبت :

قال ابن الجوزي : في "الجبت" سبعة أقوال :

أحدها : أنه السحر ، قاله عمر بن الخطاب ، ومجاهد ، والشعبي .

والثاني : الأصنام ، رواه عطية ، عن ابن عباس ؛ وقال عكرمة : الجبت : صنم .

والثالث : حيي ابن أخطب ، رواه ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، وبه قال الضحاك ، والفراء .

والرابع : كعب بن الأشرف ، رواه الضحاك ، عن ابن عباس ، وليث عن مجاهد .

والخامس : الكاهن ، روي عن ابن عباس ؛ وبه قال ابن سيرين ، ومكحول .

والسادس : الشيطان ، قاله سعيد بن جبير في رواية ، وقتادة ، والسدي .

والسابع : الساحر ، قاله أبو العالية ، وابن زيد ، وروى أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : الجبت : الساحر بلسان الحبشة (١٠) .

ذلك ما نجده في معنى الجبت عند المفسرين ، وهي نفس المعاني التي توجد عند أئمة اللغة ، وتلك المعاني التي ذكروها لا تستند إلى دليل ، وهي نسبت إلى بعض الصحابة من غير إسناد ، فلا حجة فيها .

معنى الجبت في ضوء الآيات :

وإذا رجعنا إلى القرآن ، وأنعمنا النظر في آية الجبت ، وجدنا أن القرآن لم يذكر الجبت إلا مرة واحدة ، ولم يذكره إلا مقرونا بالطاغوت ، وأما الطاغوت فقد ورد ذكره في القرآن ثماني مرات .

وكلما ذكر الطاغوت ذكر في مقابل لفظ الجلالة ، وهذا يذهب بنا إلى القول بأن كل قوة معادية لله ، وكل دولة محاربة لدينه تدخل في مسمى (الطاغوت) .

والطاغوت ليس واحداً ، فلكل قوم طاغوت ، ولكل قطر طاغوت ، ولكل عصر طاغوت ، وقد يكون الطاغوت في صورة شيطان واحد ، وقد يكون في صورة عصابة من الشياطين .

وإذا كانت القوة الحاكمة المحاربة لله ولدينه هي الطاغوت ، فالجبت هو القانون ، أو النظام ، أو الشريعة التي يحكم بها الطاغوت .

ولذلك كان التحاكم إلى الطاغوت ، لا إلى الجبت ، حيث قال تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ (سورة النساء الآية/٦٠) .

والجبت لا يكون واحداً ، كما أن الطاغوت لا يكون واحداً .

فالشرائع الجاهلية ، التي ما أنزل الله بها من سلطان ، والتي تقوم

(١٠) زاد المسير في علم التفسير – سورة النساء الآية/٥١ .

عليها المجتمعات الجاهلية ، والأنظمة الجاهلية ، والحكومات الجاهلية ، يطلق عليها لفظ (الجبت) .

فأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا من حرب مع شريعة الله ؛ لأنهم كانوا يؤمنون بالطاغوت ، وكانوا يؤمنون بالجبت ، وهي شريعة الطاغوت ، فكانوا يؤيدون الكفار ضد المؤمنين ، وكانوا يشجعونهم على شركهم ، وكانوا ينوهون بشأنهم ، ويقولون حسداً وبغياً : ﴿هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾ .

والسورة التي ورد فيها ذكر الجبت هي سورة النساء ، وهي عبارة عن مجموعة كبيرة من شرائع الله ، وهي أقضت على أهل الكتاب مضاجعهم ، لأنها كانت رداً وإبطالاً لجبتهم ، ونسخت كثيراً من بدعهم وأهوائهم .

ويمكن أن نستأنس هنا لمعنى الجبت بما روي عن نبينا عليه الصلاة والسلام ، أنه قال : العيافة والطيرة والطرق من الجبت (١١) .

فذكر عليه السلام ثلاثة أمور ، وهي من أمور الجاهلية ، أو من شرائع الجاهلية ، وقال إنها من الجبت ، وشرائع الجاهلية كلها من الجبت .

فهذا ما توصلنا إليه في معنى (الجبت) من خلال التأمل في نظم الآيات وجوّ السورة ، وهو واضح ساطع لا لبس فيه ولا غموض ، ولا يضرنا إن كانت المعاجم والقواميس ساكتة عن هذا المعنى ، ما دام أن الآيات هي التي أرشدتنا إليه .

زبدة القول أن القرآن هو أوثق وأوسع مرجع للغة العرب ، ويحدث أحياناً أن المحفوظ من كلام العرب لا يساعدنا في فهم كلمة من كلمات القرآن ، فإذا رجعنا إلى القرآن نفسه ، وأنعمنا النظر في آياته ، وجدناه يبين معنى تلك الكلمة بأسلوبه ، وسياقه ، ونظم كلماته ، بحيث يطمئن إليه القلب ، وتسكن إليه النفس ، فلله الحمد .

(١١) صحيح ابن حبان – كتاب النجوم والأنواء : ٦١٣١/٥٠٢/١٣ .

الدراية أو نقد المتن عند المحدثين

(الحلقة الثالثة الأخيرة)

بقلم :الدكتور محمد شاهجهان الندوي
أستاذ الحديث الشريف وعلومه ، بالجامعة الإسلامية كيرالا ، الهند

تفنيد اتهام المستشرقين والكتاب المحدثين علماء الحديث بترك النقد الداخلي :

وما قدمناه من القواعد والأصول المتعلقة بنقد المتن ، والأمثلة التطبيقية والممارسات الفعلية لنقد المتن لخير دليل على بطلان اتهام "الأمير كايتاني" في كتابه "حوليات الإسلام" ، وجولد تسيهر المستشرق اليهودي في كتابيه : "العقيده والشريعة في الإسلام" و "دراسات إسلامية" ويوسف شخت فيما كتبه في مادة أصول بدائرة المعارف الإسلامية ، و"يونيبول" كاتب مادة حديث في هذه الدائرة ذاتها ، و "جيوم" المستشرق في كتابه "الحديث النبوي" حيث يكتب هذا الأخير : "إن نقدهم لم يكن منصباً على المضمون ، وإنما على سلسلة الرواة أي السند .. وعلى كل حال ، فإنهم لم ينقدوا الحديث من مضمونه ، أي على أساس موافقته لصريح العقل ، حيث يمكن تصديقه ، وإنما على أساس ازدياد شهرة رواة الحديث" ، [Guillaume: The Treditiors of Islam, The Criticism of Hadith, p. 86-89] .

والحقيقة أن هذا الاتهام باطل وكذب ، فإن المحدثين لم يكتفوا بوضع قواعد كلية يمكن التعويل عليها في معرفة الصحيح من الزائف ، بل قاموا بممارسات وتطبيقات فعلية لنقد المتن ، كما بينا بالبسط والتفصيل ، ويمكن أن يفوتهم بعض التطبيق ؛ لأنهم إنسان ، ولكن القول بأنهم ما اعتنوا بنقد المضمون قول باطل .

وما يدل على فوت بعض التطبيق منهم ما رواه ابن عباس قال : صلى رسول الله – ﷺ – الظهر والعصر جميعاً ، والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر" (١) .

(١) أخرجه مالك في الموطأ رقم/٣٣٠ ومسلم رقم/٧٠٥ ، وأبو داود رقم/١٢١٢ .

وفي رواية عنه قال : صلى رسول الله ﷺ – الظهر والعصر جميعاً بالمدينة في غير خوف ولا سفر ، قال أبو الزبير ، فسألت سعيداً : لم فعل ذلك ؟ فقال : سألت ابن عباس كما سألتني ، فقال : أراد أن لا يحرج أحداً من أمته (٢) .

وفي رواية : "في غير خوف ولا مطر" (٣) ، وروى البخاري عن ابن عباس : أن النبي – ﷺ – صلى بالمدينة سبعاً وثمانياً : الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء" (٤) ، وقال الترمذي : جميع ما في هذا الكتاب من الحديث ، فهو معمول به ، وقد أخذ به بعض أهل العلم ما خلا حديثين ، حديث ابن عباس أن النبي – ﷺ – جمع بين الظهر والعصر بالمدينة ، والمغرب والعشاء من غير خوف ولا سفر ولا مطر" (٥) .

وقال الحافظ في الفتح : "وقد ذهب جماعة من الأئمة إلى الأخذ بظاهر هذا الحديث ، فجوزوا الجمع في الحضر للحاجة مطلقاً ، لكن بشرط أن لا يتخذ ذلك عادة ، وممن قال به ابن سيرين وربيعة وأشهب وابن المنذر ، والقفال الكبير ، وحكاه الخطابي عن جماعة من أهل الحديث" (٦) .

وذهب الجمهور إلى أن الجمع لغير عذر لا يجوز ، ولو قلنا بأنه واقعة عين لا عموم فيها فينفيه قول ابن عباس : "أراد أن لا يحرج أحداً من أمته : ويرده أيضاً ما رواه مسلم عن عبد الله بن شقيق ، قال : خطبنا ابن عباس يوماً بعد العصر حين غربت الشمس ، وبدت النجوم ، وجعل الناس يقولون : الصلاة الصلاة ، فقال ابن عباس : أتعلمني بالسنة – لا أم لا – ، ثم قال : رأيت رسول الله – ﷺ – جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، قال عبد الله بن شقيق : فحاك في صدري من ذلك شيء ، فأتيت أبا هريرة فسألته فصدق مقالته" (٧) .

ولو حملنا الحديث على الجمع الصوري كما تأوله جابر بن يزيد أبو الشعثاء راوي الحديث وعمرو بن دينار ، واستحسنه القرطبي ورجحه

(٢) أخرجه مسلم رقم/٧٠٥ ، وأبو داود رقم/١٢١١ ، والترمذي رقم/١٨٧ ، وأحمد رقم/١٩٥٣ .
(٣) أخرجها أحمد رقم/١٩٥٣ ، والبزار رقم/٤٧٥٣ ، ومسلم ٧٠٥ .
(٤) أخرجه البخاري رقم/٥٤٣ . (٥) أخرجه الترمذي في العلل الصغير ١/٧٣٦ .
(٦) ابن حجر ، فتح الباري ٢/٢٤ . (٧) أخرجه مسلم رقم/٧٠٥ .

إمام الحرمين وجزم به من القدماء ابن الماجشون والطحاوي وابن سيد الناس فلا إشكال ولا إخلال بجانب التطبيق .

وإن حملنا الحديث على الجمع الحقيقي ، وأنه يجوز إخراج الصلاة عن وقتها المحدود بغير عذر ، سواء كان للحاجة أو بدون الحاجة ، فالحديث في هذه الصورة يخالف القرآن الكريم مخالفة صريحة حيث قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾ (سورة النساء الآية/١٠٣) فالصلاة مفروضة مؤقتة ، فلا يجوز تجاوز أوقاتها المعلومة المحدودة ، بل لا بد من أدائها في أوقاتها المعينة سفراً وحضراً .

وبينت السنة النبوية أحوال القصر والجمع تقديماً وتأخيراً في السفر تخفيفاً ورخصة وتيسيراً على المسافر .

فإذا قلنا : إنه يجوز أداء الصلاة في الحضر كذلك في غير وقتها ، لم يبق العمل بالقرآن الكريم .

فعندي هذا الحديث معلول في صورة حمله على الجمع الحقيقي ، فلا يجوز العمل به .

والجمع في الحضر للحاجة أو بغير الحاجة لا يجوز ، لأنه يخالف القرآن الكريم فقد فرض الله تعالى أداء كل صلاة في وقت معين فلا يجوز تجاوزه للبرنامج والحفلات والجلسات والولائم والنزهة والتجوال .

أم يفوت التطبيق من البعض دون الجميع ، ويدل على ذلك ما رواه مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : أخذ رسول الله – ﷺ – بيدي ، فقال : "خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال فيها يوم الأحد ، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق ، في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلى الليل" (٨) .

فهذا حديث صحيح الإسناد ، ولكن في متنه غرابة شديدة ، ولذا عده المحدثون من غرائب "صحيح مسلم" وأعله علي بن المديني والبخاري

(٨) أخرجه مسلم رقم/٢٧٨٩ ، والنسائي الكبرى ١١٠١٠ ، وأبو يعلى ٦١٣٢ ، وابن حبان ٦١٦١ ، وأحمد رقم/٨٣٤١ .

ويحيى بن معين ، والبيهقي وآخرون ، وجعلوه من كلام كعب الأحبار ، وليس من قول النبي – ﷺ – قال الحافظ ابن كثير : هذا الحديث من غرائب "صحيح مسلم" وقد تكلم عليه ابن المديني والبخاري ، وغير واحد من الحفاظ ، وجعلوه من كلام كعب ، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار ، وإنما اشتبه على بعض الرواة ، فجعله مرفوعاً" (٩) .

وذلك أنه قد ثبت بالتواتر أن الله عز وجل خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، وثبت أن آخر الخلق كان يوم الجمعة ، فلزم أن يكون أول الخلق يوم الأحد ، وهكذا عند أهل الكتاب ، وعلى ذلك تدل أسماء الأيام ، وهذا هو المنقول الثابت في أحاديث وآثار أخر ، ولو كان أول الخلق يوم السبت وآخره يوم الجمعة ، لكان الله قد خلق في الأيام السبعة ، وهو خلاف ما أخبر به الكتاب العزيز ، حيث قال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (سورة السجدة الآية/٤) ، ومن هنا قال المناوي : "قال بعضهم : هذا الحديث في متنه غرابة شديدة ، فمن ذلك : أنه ليس فيه ذكر خلق السماوات ، وفيه ذكر خلق الأرض وما فيها في سبعة أيام ، وهذا خلاف القرآن : لأن الأربعة خلقت في أربعة أيام ، ثم خلقت السماوات في يومين" (١٠) .

وعلى كل ، فإن نقاد الحديث قد مارسوا نقد المتن ممارسة فعلية ، نعم ، إنهم لم يسترسلوا في استعمال بعض القواعد : لأنهم إنما يبحثون في أحاديث تنسب إلى النبي – ﷺ – وللنبي ظروف خاصة به ، تجعل مقياس النقد أدق وأصعب من مقياس النقد في أحاديث الناس : لأنه رسول الله ﷺ يتلقى الوحي من الله تعالى ، وأوتي جوامع الكلم ، وأعطي سلطة التشريع ، وأحاط من أسرار الغيب بما لم يحط به إنسان عام ، فلا مانع يمنع عقلاً من أن يقول حديثاً يعلو عن أفهام الناس في عصره" (١١) .

وملخص القول أن المحدثين ما فات منهم جميعاً التطبيق لقواعد نقد المتن إلا في القليل النادر .

(٩) تفسير ابن كثير ١/٢١٥ . (١٠) المناوي "فيض القدير" ٣/٥٩٦ .
(١١) السباعي ، السنة ومكانتها ص/٢٧٦ .

ومما ينبغي أن يلاحظ أن نقد المتن من خلال ما يمليه عقل شخص أو ذوقه أمر غير منضبط ، وذلك لتفاوت مدارك الناس ونظراتهم وأذواقهم إلى كثير من قضايا الشريعة ومشاكل الحياة ، ولأن القاعدة العامة المقررة لدى الإنسانية هو الرجوع إلى أهل التخصص في تخصصاتهم ، فالمنهج النقدي السليم الذي يطمئن الباحث على صحة نقد المتن هو التطبيق الصحيح لمنهج المحدثين فلا يتأهل لنقد المتن إلا الممارس لصناعة الحديث ، ولا يجوز استخدام قواعد ومقاييس نقد المتن إلا للمتخصص في هذا الفن الشريف وعلومه .

تأثير الدراية في تقوية الحديث وتصحيحه :

وقد يصحح الحديث ويقوى بانضمام القرائن الخارجية ، وإن كان في السند شيء من الخلل ، قال الخطيب البغدادي : "أما الضرب الأول : وهو ما يعلم صحته ، فالطريق إلى معرفته – إن لم يتواتر حتى يقع العلم على صحته بأن يكون خبراً عن أمر اقتضاه نص القرآن ، أو السنة المتواترة ، أو اجتمعت الأمة على تصديقه ، أو تلقته الكافة بقبوله ، وعملت بموجبه لأجله" (١٢) .

موقف علماء "الندوة" أو "الندويين" :

إن علماء "ندوة العلماء ، بلكناؤ (الهند)" أو "الندويين" يمتازون بالوسطية والاعتدال في كل شيء ، حتى أصبح الاعتدال سمة بارزة في تفكيرهم وبحثهم ، ومن هنا هم وقفوا موقف الاعتدال في نقد الإسناد والمتون ، وآثروا الحق في كلا الأمرين ، فلم يفرطوا في رد الأحاديث الصحيحة ، كما لم يفرطوا في قبول الأحاديث ، وإن ثبت عدم صحتها من حيث السند والمتن ، ولم يصل الغلو بهم إلى أن يلزموا الناس بالأخذ بالأحاديث الضعيفة الواهية ، فيوقعوا الناس في داهية : فهم ممن أراد الله بهم خيراً ورشداً – كما قال الشيخ طاهر الجزائري – .

ونقدم فيما يلي أهم نتائج البحث التي توصل إليها الباحث خلال البحث :

١- الدراية تعني النقد الداخلي أو نقد المضمون .
٢- لا تقل عناية المحدثين بالنقد الداخلي عن اهتمامهم بالنقد الخارجي .

(١٢) الخطيب البغدادي ، الكفاية ص/١٧ .

٣- نقد المتن حظي بعناية الصحابة – رضي الله عنهم – كذلك .

٤- إن علماء الحديث لم يكتفوا في نقد المتن بوضع القواعد النظرية فحسب ، بل طبقوا هذه القواعد النظرية ومارسوا نقد المتن ممارسة عملية .

٥- وأما ما يرى بعض من الكتاب المحدثين ، وكثير من المستشرقين أن نقد علماء الحديث للحديث وقف عند نقد السند فحسب فاتهام يفنده التاريخ .

٦- مر نقد المتن ومضمونه عند علماء الحديث بثلاث مراحل : (١) نقد التصحيح (٢) نقد التفسير (٣) تمييز صحيح المتن من زائفه .

٧- إن منهج النقد التاريخي الأوربي لم يعرف هذه المراحل ، أو الخطوات التي تسبق عملية النقد نفسها إلا في القرن العشرين .

٨- لا بد لنقاد الحديث في العصر الحديث أن يعتنوا بالسند والمتن كليهما ، ولا يعتمدوا على السند وحده ، فإن الاعتماد على السند وحده لا يكفي ، بل لا بد من الاعتماد على نقد المتن كذلك .

٩- الحكم على الحديث من خلال ما يمليه عقل شخص ، أمر غير منضبط ، لا يصح الاعتماد عليه ، وذلك لتفاوت مدارك الناس ونظراتهم واتجاهاتهم إلى كثير من قضايا الدين ومشاكل الحياة .

١٠- إن المنهج النقدي السليم الذي يطمئن الباحث على نقد صحة الحديث ، هو التطبيق الصحيح للمنهج النقدي لدى المحدثين ، والذي يحتوي على النقد الخارجي والنقد الداخلي كليهما .

١١- إن تكامل منهج النقد عند علماء الحديث يبرز من خلال استيفائه كل جوانب البحث النقدي .

١٢- إن منهج النقد عند المحدثين لمعرفة صحيح المتن من زائفه يمتاز عن المنهج النقدي التاريخي الأوربي ، بوضع قواعد كلية لمعرفة الصحيح من الزائف ، لا عن طريق التخمين كما صنعه الأوربيون .

١٣- إن المحدثين لم يقوموا بوضع القواعد النظرية والمصطلحات العلمية لمنهج النقد إلا من خلال الممارسة والتطبيق العملي .

١٤- إن منهج علماء الحديث في نقد الحديث كان أكثر دقةً في مجال النظر عنه في مجال التطبيق .

١٥- الحاجة ماسة إلى دراسة الأحاديث الشريفة ونقدها بعمق وجدية من غير انحياز وعصبية ، أو فكرة مسبقة .

صور وأوضاع:

أحداث العالم الإسلامي

وموقف الدول الغربية المتناقض

محمد واضح رشيد الحسني الندوي

لوحظت آثار الصحوة الإسلامية، وبرزت مظاهرها في الستينات إثر خيبة النظم السياسية التي كانت قائمة في معظم البلدان الإسلامية التي كانت قد تحررت سياسيا؛ لكنها كانت تخضع للنفوذ الغربي، وتقتدي به في سائر شعب الحياة، وأدركت شعوب هذه الدول المسلمة خيبة قياداتها السياسية في معالجة مسائل الحياة القومية، وازداد هذا الشعور بالخيبة بفشلها في الدفاع عن السلامة الإقليمية والوحدة القومية لتلك البلدان، وكانت هزيمة عام ١٩٦٧م التي منيت بها القيادات الثورية والعسكرية التي قضت حكمها الطويل في القضاء على المعارضين للنظام، أو فرض الأفكار المستوردة من الغرب وخاصة من الدول الاشتراكية في العالم الإسلامي. وصبّت جام غضبها على حملة الاتجاه الإسلامي والدعاة والمصلحين، برهاناً على خيبة هذه النظم التي كانت تستند إلى تأييد الغرب، وتتبع خطاه في الاقتصاد والسياسة والتعليم والتربية، وتنفذ مخططاته لسلخ هذه الشعوب المسلمة عن مميزاتها الإسلامية، وتعطيل صلاحياتها للانتفاضة الإسلامية والتحرك باسم الدين، والعمل لوقاية المقدسات الإسلامية.

كانت هذه الصحوة أمراً طبيعياً، وقد اعترف المستشرق المعروف "ولفرد كانتول اسمت" بأن الصحوة الإسلامية التي تكتسح اليوم في العالم الإسلامي، هي نتيجة للشعور بالخيبة في النظم السياسية القائمة، فكتب يقول في كتابه "الإسلام في التاريخ الحديث" Islam in modern history إن اليقظة الدينية في العالم العربي والإسلامي جاءت بعد صدمة هزيمة ١٩٦٧م، فقد عادت الجماعات والحركات الإسلامية إلى الظهور بقوة منذ ذلك الوقت كردّ فعل طبيعي للهزيمة، فالتحصن بالدين واللجوء إليه لمواجهة شرور الهزيمة كان هو الاختيار الواضح عند الشباب، ولم تتوقف حركة

الشباب عند الأفكار الدفاعية التي قدمها لها العقاد، وطه حسين، وأحمد أمين، وهيكل، وعمر فروخ، بل اتخذت الدفاع عن الإسلام شعاراً لها و قالت إن الإسلام ليس كما يفهمونه بأنه سبب انحطاط المسلمين؛ بل هو دين عظيم، يدعو للحضارة والتقدم الإنساني، لم تتوقف الحركات الإسلامية عند حدود الدفاع؛ بل جعلت تحاول أن تقدم مجتمعاً حديثاً على أساس العدل والإنسانية معتمداً على القيم الإسلامية، والدافع الأساسي لها هو النجاح في التصدي للهجوم الأجنبي، وتخليص المجتمع من عوامل الانحلال والفساد التي سقط فيها، فالمجتمع الحالي في تصورها يقوم على مبادئ انتهازية، ويتحرك بأشخاص فاسدين، ولا بد لتقويم المجتمع من برنامج للإصلاح يتحول فيه الفكر الإسلامي إلى قوة فعالة مثمرة في مواجهة وعلاج مشاكل العصر الحديث، هو التصور الوحيد الذي يقف بجدية في صراع الأقطار في مواجهة الأفكار الغربية المادية.

ووصف أحد الكتاب البارزين هذا العصر بجاهلية القرن العشرين، وأزاح القناع عن زيف الحضارة الغربية وطبيعة استغلال الدول الغربية للثروات والكفاءات في العالم الإسلامي.

ونما هذا الشعور وانتشر في الأجيال الناشئة بتأثير كتب الفكر الإسلامي، وطرق مواجهة الحضارة الغربية ومكافحة الاستعمار بأقلام الذين درسوا الحضارة الغربية وتعرفوا عليها عن كثب وعن كتب، وعرفوا التناقض الظاهر في معالجة قضايا العالم الإسلامي، ونمى هذا الشعور تكرار حملات الكراهية للإسلام والهجوم على المقدسات الإسلامية وخاصة محاولات الإساءة إلى ذات الرسول صلى الله عليه وسلم، وموقف الحكام المسلمين موقف التخاذل والتنازلات أمام مطالب الدول الغربية، فكان ذلك الدافع إلى العودة إلى الإسلام، والحرص على البحث عن حلول المسائل التي يعاني منها المجتمع المسلم في المصادر الإسلامية، وقد هيّأ هذا الشعور حافزاً إلى نقد الفكر الغربي، والكشف عن زيفه، وإثبات عدم نفعية تقليده، والتدليل على خداعه للعالم الإسلامي، وخذلانه له في ساعات امتحان وفائه وكفاءته في ظروف المعاناة، وأوضاع الخطر، وقد ثبت لكل

من يعاين مواقف الدول الغربية إزاء الأحداث في العالم الإسلامي أن الغرب لم يتخل عن صليبية القرون الوسطى، وعن أيديولوجية العنصرية، وموالاة اليهود، وترجيح مصالح اليهود على مصالح العرب والمسلمين رغم علاقاته مع الدول الإسلامية، وعرف سكان هذه المناطق أن هذه العلاقات والصداقة وخدمة المصالح الأوربية تقوم من جهة واحدة، كما عرف المتتبعون للأحداث أن أوربا غير مهتمة بتطوير وتقدم مناطق المسلمين وحل مسائلها، بل تحرص دائماً على توريط هذه المناطق في مسائل جديدة وخاصة أنها حريصة على إضعاف اقتصادها، وتتخذ وسائل لفرض ضغوط اقتصادية عليها، وتنشط وكالاتها في إحداث أزمات اقتصادية وصراعات فكرية وثورات عسكرية في هذه المناطق، لتلجأ لحلها إلى الدول الغربية، وكان همّها الوحيد إبعادها عن مصادر قوتها ومنبع انطلاقها إلى القيادة البشرية: ففرضت على حكومات هذه الدول سياسة قمع كل حركة أو دعوة للبعث الإسلامي.

لقد عمّ هذا الشعور بالخيبة في صلاحية النظم السياسية المقلدة للغرب في سائر طبقات السكان في البلدان الإسلامية، وكان هذا الشعور الغلاب الذي لا يمكن السيطرة عليه أو إخفاؤه هو الباعث على التفكير في البديل، وأدرك المفكرون الغربيون أيضاً أن هذا الشعور يتنامي في أذهان المسلمين، لأن الشعور أو الحس بالخسارة أو التبعية يدفع الإنسان إلى العمل لإزالة ذلك العائق أو مكافحة من يفرض عليه هذا الوضع، فلو كانت هذه الدول التي قلدت الغرب، متقدمة متطورة في التعليم، وعم فيها الاستقرار السياسي، وقام فيها النظام الاقتصادي المتطور، ونشأت فيها القوة الدفاعية الرادعة، وكانت متحضرة تتوفر فيها فرص التعليم العالي، والصناعة الراقية، وكانت قادرة على حل مسائلها، لكان لهذا التقليد ومواصلة تبعية الغرب مبرر، ولكن لم يحدث شيء من هذا القبيل، فإن مديونية معظم الدول التي قبلت الحضارة الغربية معروفة لدى الجميع، والاعتماد المتنامي لهذه الدول على الخبرة الأجنبية معروف لدى الجميع، وأغرب من ذلك أن أكثر الدول الإسلامية اعتماداً على الغرب واتباعاً له، هي أكثر الدول

الإسلامية تعقداً للمسائل واضطراباً للأوضاع السياسية، وقمعاً للحريات المدنية، وتخلفاً في الحالة الاقتصادية.

لقد أتاح هذا الواقع المرير في العالم الإسلامي فرصة للتفكير في البحث عن البديل، ومنطلقاً إلى اتجاه جديد، وكان الأجدر للفكر الإسلامي في مثل هذا الوضع بأن يقوي هذا الشعور، وينميه ويوسع دائرته ويقنع النفوس بخواء فكرة تقليد الغرب لتعميم هذا الشعور، فيشمل أوساط المثقفين والمتكلمين والمسئولين وأن يشترك في هذا الشعور أصحاب السلطة وواضعو السياسة، والمثقفون، وأن يكشف زيف الدساتير المنفذة والقوانين المستوردة. ويثبتوا عدم صلاحيتها لحل مشاكل أمة تختلف في طبيعتها ومزاجها وتاريخها وأجوائها الطبيعية والثقافية عن الأمم التي أخذت منها هذه المناهج والفلسفات والنظم.

ومن جهة أخرى كان على الفكر الإسلامي أن يعرض الحلول الإسلامية لجميع هذه المسائل ويثبت أن كثيراً من المسائل التي يواجهها العالم الإسلامي هي رواسب الاستعمار، ونتيجة لتقليد الفكر الغربي، وهي مفروضة على العالم الإسلامي، ولذلك لا يمكن حلها في ضوء التجربة الأوربية.

وكان من أولويات هذه الصحوة الشعورية تنمية هذه الصحوة فكرياً وتميتها ثقافياً، وهي عن طريق بذل جهود لإصلاح المجتمع الإسلامي، وخلق وحدة في صفوفه، ووحدة عنصرية، ووحدة فكرية، ووحدة ثقافية بإنشاء مدارس التعليم الإسلامي، ومراكز للتربية الإسلامية، ومؤسسات لحل مشاكل الحياة العامة بالمنهج الإسلامي، وتعبئة الرأي العام ضد المؤسسات والمنشآت الغربية التي تستغل ثروات البلاد الإسلامية.

أدت هذه الصحوة الإسلامية إلى تغيير نظم الحكم بالاشتراك في الثورات الشعبية التي قامت في البلدان التي كانت خاضعة للنظم الديكتاتورية وخاصة النظم الخاضعة للفكر الاشتراكي المستبد الذي قضى الحكام فيه مدة طويلة لقمع الشعور الإسلامي وكبت الحريات المدنية، وبعد سقوط هذه النظم في هذه الثورات الشعبية اختارت طريق

الانتخاب الحر للوصول إلى الحكم أو الاشتراك في نظم الحكم، وقد أدت نتائج الانتخابات التي جرت في دول الثورة، إلى الاعتراف بالحقيقة أن الأغلبية في هذه الدول ترغب في تطبيق الشريعة الإسلامية، وحل مسائلها في ضوء تعاليمها، وكان من حقها الجمهوري أن تتقلد مقاليد الحكم، ولكن الخائفين من وصول حملة الفكر الإسلامي إلى الحكم دبروا مؤامرة لتخييب هذا المجهود، وإرجاع عقارب الساعة إلى الوراء، وإلغاء نتائج الانتخابات كما حدث في الجزائر، وأعيد في تركيا، ونتيجة لهذه المؤامرة عادت هذه البلدان إلى الوضع السابق وهو الحكم العسكري، وكان آخر فريسة لهذه المؤامرة مصر التي تستمر فيها أوضاع الثورة رغم انتهاء عملية الانتخاب وظهور النتائج وتشكيل حكومة جديدة، وقد كشفت وثائق أمريكية عن قيام إدارة أوباما بتمويل المعارضين العلمانيين للرئيس المصري المنتخب الدكتور محمد مرسي بغية إسقاطه، فوفقاً للنسخة الإنجليزية لموقع "الجزيرة" إن هناك سلسلة من الأدلة تؤكد ضخ الأموال الأمريكية لبعض النشاطات والمجموعات المصرية التي كانت تضغط من أجل إزالة الرئيس المنتخب، وتوفير الأجواء لقيادة الجيش للانقلاب عليه، ويتبين من الوثائق أن برامج الخارجية الأمريكية "المساعدة من أجل الديمقراطية في الشرق الأوسط" توزع مئات الملايين من أموال دافعي الضرائب عن طريق "مكتب شؤون الديمقراطية وحقوق الإنسان والعمل" و"مبادرة الشراكة الشرق أوسطية" و"الوكالة الأمريكية للتنمية"، وقد أنفقت أمريكا ٩٠٠ مليون دولار للتآمر ضد الرئيس المنتخب تحت ستار "مشاريع الديمقراطية في المنطقة" كما منحت المعارضين لمرسي أموالاً للتحريض ضد الإسلاميين".(مجلة "المجتمع" الكويتية، العدد: ٢٠٦٢، ٢٠-٢٦/يوليو ٢٠١٣م).

وكانت النتيجة أن فرض على مصر نظام عسكري أشد عنفاً واستبداداً من النظام المخلوع، ولجأت الحكومة العسكرية المفروضة إلى ممارسة أقسى وسائل القمع ضد المؤيدين للرئيس المنتخب، ولا تزال تحدث

اشتباكات مسلحة يذهب ضحيتها مآت من المتظاهرين بجانب التعذيب والتنكيل مع المسجونين، ومما يدل على تناقض موقف الدول الغربية وخاصة أمريكا أن عدداً من البلدان في آسيا وأوربا مرت بمرحلة الانتخابات، وقامت فيها حكومات الأحزاب التي نالت الأكثرية، وفرضت هذه الأحزاب سياستها، ولم يحدث فيها أي رد فعل، أوهي قائمة، كان منها إيران وفرنسا، وباكستان، وقد تقلد الحزب الفائز في الانتخابات مقاليد الحكم، وهو مطابق للحضارة الغربية المعاصرة، لقد كان انتقال الحكم إلى الحزب الفائز أمراً طبيعياً، وقد كان يقتضي هذا الوضع من حاملي الفكر الغربي الداعي إلى نظام ديمقراطي أن ينتقدوا هذا الموقف المناوئ للنظام الديمقراطي، ولكن الخوف من وصول حركة ذات اتجاه إسلامي إلى الحكم ساقهم إلى تأييد مضمر؛ بل تدبير مؤامرة لتغيير الوضع من النظام الديمقراطي إلى النظام العسكري. وقد أشار إلى ذلك الرئيس الروسي بوتين في تصريح له أدلى به يوم الأحد(١٧/أغسطس ٢٠١٣م) وقال فيه : "إننا على استعداد تام لأن ندعم الجيش المصري عسكريا دون شروط أو قيد" وأبدى فيه كرهه للإسلاميين، وتشير مصادر إلى أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يريد أن يستغل الفرصة لتوطيد علاقاته بدول الشرق الأوسط، بالإضافة إلى الظهور أمام العالم بمظهر الرجل القوي الذي يخوض حربا ضد الإرهاب في المنطقة، وكما يرى بوتين، وبحسب خبراء، أن "جماعة الإخوان المسلمين هي التي تقود الإرهاب والجماعات المتشددة في المنطقة، سواء في سوريا أو في مصر، وهو ما جعله يساند بقوة الرئيس السوري بشار الأسد من عامين، ضد ما قال إنه إرهاب الإخوان المسلمين" .

إن تأييد الحكومات التي يجري فيها حكم تقليدي فردي غير ديمقراطي مفهوم، كذلك الذين يعارضون قلب أي نظام بالثورة، ولكن موقف الذين يدعون إلى الحريات المدنية والحريات الفردية وحكم الأغلبية ونظام الانتخابات، يبعث على الشعور بأن للغرب مقاييس مزدوجة ومعايير متعارضة لتقييم الأحداث في العالم .

ألا إن نصر الله قريب !؟

محمد فرمان الندوي

الإيمان ليس مجرد كلمة تقال ، وتنطق ، أو مضغة تؤكل وتجتر ، بل إنه جهد و جهاد وبلاء ومحن ، وإن طريق الإيمان محفوف بالمكاره ، (حفت الجنة بالمكاره) ، وقد توجد في هذا الطريق هزيمة وانتصار ووهاد ونجاد وكهوف ومغارات ، ولا شك أن الإيمان دعوى ، والثبات في البلايا والمحن دليله وعلامته ، وقال الله تعالى : ﴿الم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (سورة العنكبوت الآيات/١ – ٣) .

الإيمان يربي المجتمع الصالح تارة بالخير ، وتارة بالبلايا والمحن ، وإن أطهر وأخلص نفوس بشرية على وجه الأرض هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، الذين واجهوا السراء والضراء بوجه باسم ، وثبتوا فيهما كالجبال الراسيات ، فما ضعفوا وما وهنوا وما استكانوا ، فكانوا من المصطفين الأخيار ، يحكي القرآن أن سيدنا سليمان عليه السلام قد حيزت له الدنيا بحذافيرها ، وجمعت له أسبابها ووسائلها ، وكان من الملوك الأربعة الذين حكموا العالم كله ، وكان فيه بلاء ، لكنه قال : ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (سورة النمل الآية/٤٠) وهذا أيوب عليه السلام قد أصابه ما أصابه في الأهل والمال والأولاد والبدن ، لكنه شكا بثه وحزنه إلى الله : رب أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ، وهذا يحيى بن زكريا عليهما السلام لقي من قومه غضباً وعنتاً ، حتى اضطر إلى الاختباء بشجرة ، فشق القوم الشجرة بالمنشار حتى صار جسمه قطعتين ، والعياذ بالله ، وإن الموحدين الذين ورد ذكرهم في سورة البروج آمنوا ﴿بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۞ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (سورة البروج الآيتان/٨ – ٩) وقد حفرت لهم حفرة ، وأحرق فيها النار ، ثم قذفوا فيها ، قال الله تعالى : ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ۞ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۞ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ (سورة البروج الآيات/٤ – ٦) .

هذه هي التربية الإيمانية التي أخذ الله بها طائفة من عباده ، فكانت منحة ربانية ، وعطاء كريماً ، وتحفة إلهية ، وقد تلقاها الصحابة رضي الله

عنهم من النبي ﷺ ، لأن النبي ﷺ قال : أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، وقال الله تعالى : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (سورة الأحزاب الآية/٢٣) .

إن المؤامرات الشريرة التي تحاك خيوطها في العالم الإسلامي ليست إلا امتداداً للصراع بين الحق والباطل ، الصراع بين آدم وإبليس ، الصراع بين إبراهيم ونمرود ، الصراع بين موسى وفرعون ، الصراع بين عيسى وبني إسرائيل ، الصراع بين محمد ﷺ وكفار مكة ، ومعلوم أن هذه المكايد والمحاولات ستذهب هباء منثوراً ، رغم كيد الكائدين ومكر الماكرين ، ومكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين ، وليعلم أن الله تعالى حليم ، يصبر على الإشراك به ، ولكن لا يصبر على الظلم والاعتداء على الناس ، فقد جاء في الحديث الصحيح : إن الله ليملي الظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته ، وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذه أليم شديد .

وهناك بشارات ونبوءات صادقة في القرآن والحديث .

١- قال الله تعالى : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ .

٢- وقال : ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ .

٣- قال ﷺ : إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي ستبلغ إلى ما زوى لي .

٤- وقال ﷺ : لا يبقى على وجه الأرض بين مدر ولا وبر ، إلا أدخله الله الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل .

وكتب أستاذ المناهج وأساليب التربية الإسلامية الدكتور سمير يونس رسالة إلى المهمومين ... لا تيأسوا .

"كيف تيأس وأنت تلجأ إلى الله ، كيف تقنط ، والله هو المرجو : ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة يوسف الآية/٨٧) ، أيها المهموم ! تضرع إلى الكبير المتعال ، واثقاً بأن مع الكرب فرجاً ، وأن مع العسر يسرا ، وأن دوام الحال مع المحال ، أجل ، أليس الله هو مفرج الكروب ، وقد فرّج كرب أيوب عليه السلام ، أليس هو القائل للنار بعد أن قذف فيها إبراهيم عليه السلام : ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (سورة الأنبياء الآية/٦٩) ، أليس الله سبحانه هو من ألان الحديد لداود ، أليس الله فلق البحر لموسى ، أليس الله هو الذي شق القمر لمحمد أبشر أيها المهموم ، أبشر بلطف الله ، كن متفائلاً" (مجلة المجتمع الكويتية ، ٢٥/رمضان ١٤٣٤هـ) .

قال الله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (سورة البقرة الآية/٢١٤) .

من كنوز القرآن الكريم :

تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي

(تفسير القرآن بالقرآن)

(البقرة : ٨٨ – ١٤١)

جمع وترتيب : محمد فرمان الندوي

وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة :

قال الله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (سورة المائدة الآية/١٨) .

فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون :

انتهى ذكر العذاب .

ولقد آتينا موسى الكتاب وقفّينا من بعده بالرسل :

ابتدأ الرد عليهم .

فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به :

قال تعالى : ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأنعام الآية/١٥٤) .

وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة الأنعام الآيتان/٢٠ – ٢١) .

قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم صادقين :

انتهى الرد عليهم .

قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت :

قال تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة الجمعة الآية/٦) .

قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه :

قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ۞ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ۞ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ

الأعْجَمِينَ ❖ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الشعراء الآيات/١٩٢ – ١٩٩) .

يعلمون الناس السحر :

قال الله تعالى : ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ (سورة طه الآية/٧١) .

وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت :

قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ (سورة يونس الآية/٧٤) .

ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق :

التكوين ١ – ١٠ – ١٨ .

يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا ،وللكافرين عذاب أليم :

قال العلامة السيد سليمان الندوي : في هذه الآية المنع من تشبه اليهود ، قال الله عز وجل : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (سورة النساء الآية/٤٦) .

والله يختص برحمته من يشاء :

قال الله تعالى : ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (سورة الجمعة الآية/٤) .

ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها :

نسخ : بدل ، والخير : موضع ما أنوه .

وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله :

قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (سورة آل عمران الآية/٣٠) .

وقال اليهود ليست النصارى علي شيئ :

الرد على اليهود والنصارى والمشركين .

ولله المشرق والمغرب ، فأينما تولوا فثم وجه الله :

من هنا التمهيد لتحويل القبلة وذكر إبراهيم ورعايته ، وورد ذكر

تحويل القبلة في بداية الجزء الثاني للقرآن .

إن الله واسع عليم :

قال الله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾ (سورة غافر الآية/٧) .

وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله :

هنا المشركون ، فالتاريخ يختص بالنبي ﷺ .

الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته :

قال تعالى : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ❖ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ❖ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (سورة القصص الآيات/٥٢ – ٥٤) .

واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة :

انتهى الرد على الثلاث .

وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات :

قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ❖ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ❖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ❖ أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ❖ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ❖ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ❖ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ❖ فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ❖ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ❖ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ ❖ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ❖ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ❖ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ❖ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ❖ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ❖ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ❖ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ❖ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ❖ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ❖ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ❖ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ❖ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ❖ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ❖ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ❖ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ❖ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ❖ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ❖ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ❖ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ ❖ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ (سورة الصافات الآيات/٨٣ – ١١٣) .

وقال تعالى : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ۞ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۞ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۞ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۞ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۞ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۞ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۞ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ۞ رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۞ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ۞ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ۞ وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ۞ وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۞ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ۞ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (سورة الشعراء الآيات/٦٩ – ٨٩) .

وقال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ ۞ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۞ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ۞ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ۞ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ۞ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (سورة إبراهيم الآيات/٣٥ – ٤١) .

وقال تعالى : ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۞ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۞ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة العنكبوت الآيات/١٦ – ٢٧) .

وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا :

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ۞ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ (سورة آل عمران الآيتان/٩٦ – ٩٧) .

وعهدنا إلى إبراهيم أن طهرا بيتي :

قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (سورة الحج الآية/٢٦) .

وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا :

قال الله تعالى : ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة القصص الآية/٥٧) .

وأرنا مناسكنا :

قال الله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (سورة الحج الآية/٣٤) .

وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم :

قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة التوبة الآية/١١٧) .

ربنا وابعث فيهم رسولا :

قال الله تعالى : ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/١٥١) .

وقال : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ

يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (سورة البقرة الآية/١٦٦) .

وقال : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ (سورة الجمعة الآية/٢) .

ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم :

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً ❖ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (سورة الأحزاب الآيتان/٣٢ – ٣٣) .

يعلمهم الكتاب والحكمة :

قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (سورة لقمان الآية/١٢) .

وقال تعالى : ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً ❖ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ❖ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ❖ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً ❖ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ❖ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ❖ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً ❖ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ❖ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ❖ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً ❖ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ❖ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً ❖ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ❖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ❖ وَلا تَقْفُ

مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ❖ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ❖ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ❖ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً ❖ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً﴾ (سورة الإسراء الآيات/٢٢ – ٤٠) .

ومن يرغب عن ملة إبراهيم :

وقال تعالى : ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (سورة آل عمران الآية/٥٤) .

إذ قال له ربه أسلم :

قال الله تعالى : ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ❖ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران الآية/٨٣ – ٨٤) .

وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً :

قال الله تعالى : ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة آل عمران الآية/٩٥) وقال : ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة النحل الآية/١٢٣) وقال تعالى : ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ❖ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (سورة الحج الآيتان/٣٠ – ٣١) وقال : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة آل عمران الآية/٦٧) وقال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (سورة آل عمران الآية/٨) .

تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق :

قال الله : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة آل عمران الآية/٦٧) .

إلى رحمة الله تعالى :

السيد اشتياق علي العلوي في ذمة الله تعالى

قلم التحرير

استأثرت رحمة الله تعالى بالسيد اشتياق علي العلوي عضو المجلس التنفيذي لندوة العلماء ، يوم الأربعاء ٢٤/من شهر شعبان لعام ١٤٣٤هـ الموافق ٣/من شهر يوليو ٢٠١٣م ، بالغاً من العمر ٩٠/عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، كان عضواً كريماً لأسرة الأشراف الكرماء من منطقة كاكوري بجوار لكهنؤ ، وقد كانت لهم علاقة قديمة بندوة العلماء وأسرة السادة الحسنية ، أسرة سماحة الإمام العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، ومن خلال هذه العلاقة الكريمة بين الأسرتين حصلت لندوة العلماء أرض واسعة لإقامة مبنى دار العلوم على شاطئ نهر غومتي ، حيث لا تزال قائمة بمهام التعليم والتربية بإشراف رجال ندوة العلماء المخلصين ، وفي مقدمتهم اليوم سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، رئيس ندوة العلماء العام .

هذه الأسرة الشريفة كانت تقيم كمقر رئيسي في مدينة لكهنؤ ، كان يُعرف بـ "كاكوري كوتي" وكان مرجع أهل العلم والفضل والخاصة والعامة من الناس .

كان الراحل الكريم من أبناء جماعة عليكراه الإسلامية القدامى حيث أحرز الشهادة العلمية العليا في العلم والقانون من كلية الحقوق ، كان غاية في التواضع والتعاون ، يتعاطف مع أهل الحاجات ويساعدهم من غير تردد وتأخير ، وهو من مواليد ١٩٢٢م بالغاً من العمر فوق التسعين .

تغمده الله بواسع رحمته وغفر له زلاته ، وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذوي الصلة الأرحام ، والأحبة الصبر الجميل والدعاء لمغفرته ورفع درجاته في الآخرة .

٢-حرم فضيلة الشيخ عبد العزيز الباتكلي الندوي إلى رحمة الله تعالى

انتقلت إلى رحمة الله حرم فضيلة الشيخ عبد العزيز الندوي يوم الأحد ٢٧/من شهر شعبان ١٤٣٤هـ الموافق ٧/من شهر يوليو ٢٠١٣م ، بعد معاناة طويلة من مرض السكر وضعف المفاصل والأعصاب ، ورغم محاولات جادة في المعالجة لم يرزق لها البرء ، وارتحلت إلى دار الآخرة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الراحلة العزيزة صابرة على كل ما أصابها من آلام وأوجاع

خلال أيام المرض ، تحملتها راضية بما قدر الله لها ، وخاضعة أمام إرادة الله تعالى ، فجزاها الله تعالى إزاء هذا الصبر والرضا جنات الفردوس وأكرمها بالمغفرة ورفع درجاتها في الآخرة ، وجزى الله تعالى رفيقها وزوجها خيراً كثيراً ، فإنه لم ييأس من رحمة الله تعالى ، وبذل كل ما وسعه من اهتمام بالغ بعلاجها .

ونحن إذ نعزيه من صميم القلب ندعو الله سبحانه أن يتغمد الراحلة الكريمة بالرحمة والمغفرة ويلهم أهلها وزوجها العزيز بالصبر والسلوان ، والله هو العزيز الغفور .

٣- الأستاذ الدكتور عبد السلام إلى رحمة الله تعالى

أفادت الأنباء بوفاة الأستاذ الدكتور شاه عبد السلام مساء يوم السبت ١٧/من شهر أغسطس ٢٠١٣م الموافق ٩/من شهر شوال ١٤٣٤هـ بعد معاناة طويلة بأمراض عضال ، وذلك في أحد المستشفيات الذي كان يُعالج فيه ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم ذا ثقافة عالية ، وقد قضى وقتاً مفيداً في أمريكا حيث حصل على درجات ممتازة في العلوم والثقافة ، شغل منصب رئيس قسم اللغة العربية في جامعة لكهنؤ ، ولكنه كان يقوم بنشاطات اجتماعية وثقافية من خلال أهل العلم والثقافة في مدينة لكهنؤ ، وكانت له روابط علمية ثقافية مع عدد من الكليات والجامعات التي كانت تستفيد من آرائه العلمية وأفكاره الثقافية ، وقد تميزت خدماته في هذا المجال كمدير لكلية ممتاز الجامعية ، كما كان عضواً لمجلس إصلاح المسلمين ، ومشرفاً على مكتبة رضا الشهيرة الرسمية في رام فور الهند .

كان الراحل الكريم مقبولاً في جميع الأوساط العلمية والدينية والثقافية ، فكانت له مكانة مشرفة في كل مكان ، وكان والده الكريم فضيلة الشيخ شاه أبو القاسم رحمه الله البحري آبادي من مديرية غازي فور ، مدرساً في ثانوية دار العلوم ندوة العلماء إلى مدة ، وقد وفق الله تعالى المرحوم إلى تأليف كتب عديدة نالت القبول في المدارس والكليات .

عقدت له حفلة تأبين من قبل جمعيات وكليات عديدة في لكهنؤ كما أن شخصيات بارزة في لكهنؤ قامت بأداء واجب التعزية وإبداء الأسف على وفاته المبكرة .

خلف وراءه أسرة مكونة من الأهل والبنت والولد الصالح ، الدكتور شاه محمد فائز ، صُلي عليه بإشراف مجلس إصلاح المسلمين وتم دفنه في مقبرة عيش باغ الشهيرة في لكهنؤ .

تغمده الله بواسع رحمته وغفر له زلاته ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أهله وأصدقاءه الصبر والسلوان .

٤- الأمير مساعد بن عبد العزيز آل سعود في ذمة الله تعالى

أفادت الأنباء بنبأ وفاة الأمير مساعد بن عبد العزيز آل سعود يوم الاثنين ١٢/من شهر شوال ١٤٣٤هـ المصادف ١٩/أغسطس ٢٠١٣م ، وقد صدق ذلك النبأ الديوان الملكي السعودي في الرياض ، وقال في بيانه الصادر : إن الصلاة على الأمير الفقيد ستتم عصر يوم الأربعاء ٢٠١٣/٨/٢١هـ بعد صلاة العصر بجامع الإمام التركي بمدينة الرياض ، وقد أم الصلاة على الفقيد سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ، مفتي عام المملكة العزيزة .

سائلين الله سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته ورضوانه ، وأن يسكنه فسيح جناته ويلهم الجميع الصبر والسلوة .

٥- فضيلة الشيخ عبد الحميد الرحماني إلى رحمة الله تعالى

توفي صباح يوم الثلاثاء (١٤٣٤/١٠/١٢هـ الموافق ٢٠١٣/٠٨/٢٠م) فضيلة الشيخ عبد الحميد الرحماني المدني في مقره بمدينة دلهي الهند ، وكان قد أصيب بأمراض شتى منذ مدة لا بأس بها ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ الرحماني معروفاً في أوساط العلم والدين بنشاطاته الدينية والتعليمية والدعوية ، وقد أتم دراسته الدينية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ولما رجع منها في عام ١٩٧٠م عين مدرساً للعلوم الدينية في الجامعة الرحمانية أولاً والجامعة السلفية بعدها بمدينة بنارس ، فأدى عمله هناك بنجاح ، ثم انتقل إلى دهلي حيث أسس مركزاً كبيراً باسم مركز أبي الكلام آزاد للتوعية والثقافة ، وأشرف عن طريق هذا المركز على إقامة جامعة إسلامية باسم جامعة سنابل الإسلامية في منطقة "أوخلا" بدلهي ، وجامعة عائشة للبنات ، ومدارس أخرى كذلك ، كتب لها الاتساع والإفادة على أوسع نطاق ، وكان قد اختير أمين جمعية أهل الحديث العام في سابق عهده ، وطالما كان يشارك الندوات العلمية والدينية ، والنشاطات السياسية في عهد "حزب جانتا" كان يتحدث عن السياسة ويدعو إلى قمع الظلم وإعطاء الجماهير حقها من العدالة الاجتماعية والسياسية ، فكان له دور في السياسة الهندية أيام حكومة "حزب جانتا" ، كانت وفاته خسارة للأوساط العلمية والدينية ، تغمده الله تعالى بواسع رحمته وغفر له زلاته وأسكنه فسيح جناته ، وألهم الجميع الصبر الجميل .

البعث الاسلامي
مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ب ٩٣، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
الفاكس: ٢٧٨٧٧١٠- ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
FAX:0091-522,2741221-2741231

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم ! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٥٨/عاماً بالاستمرار ، والمجلة الآن في عامها التاسع والخمسين ، ونرجو الله سبحانه أن يوفر لها جميع الوسائل اللازمة ، ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين فيها باستمرارية تامة .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفه باهظة ، ولا سيما بعد تضاعف أجرة البريد وأسعار الطباعة والورق والترصيف ، فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم :

AL-BAAS-EL-ISLAMI A/C 10863759846 STATE BANK OF INDIA

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ندوة العلماء – لكناؤ ٠٤- ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الاسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧(الهند)